آدم بريسكو

قاتل المطلقات

رواية

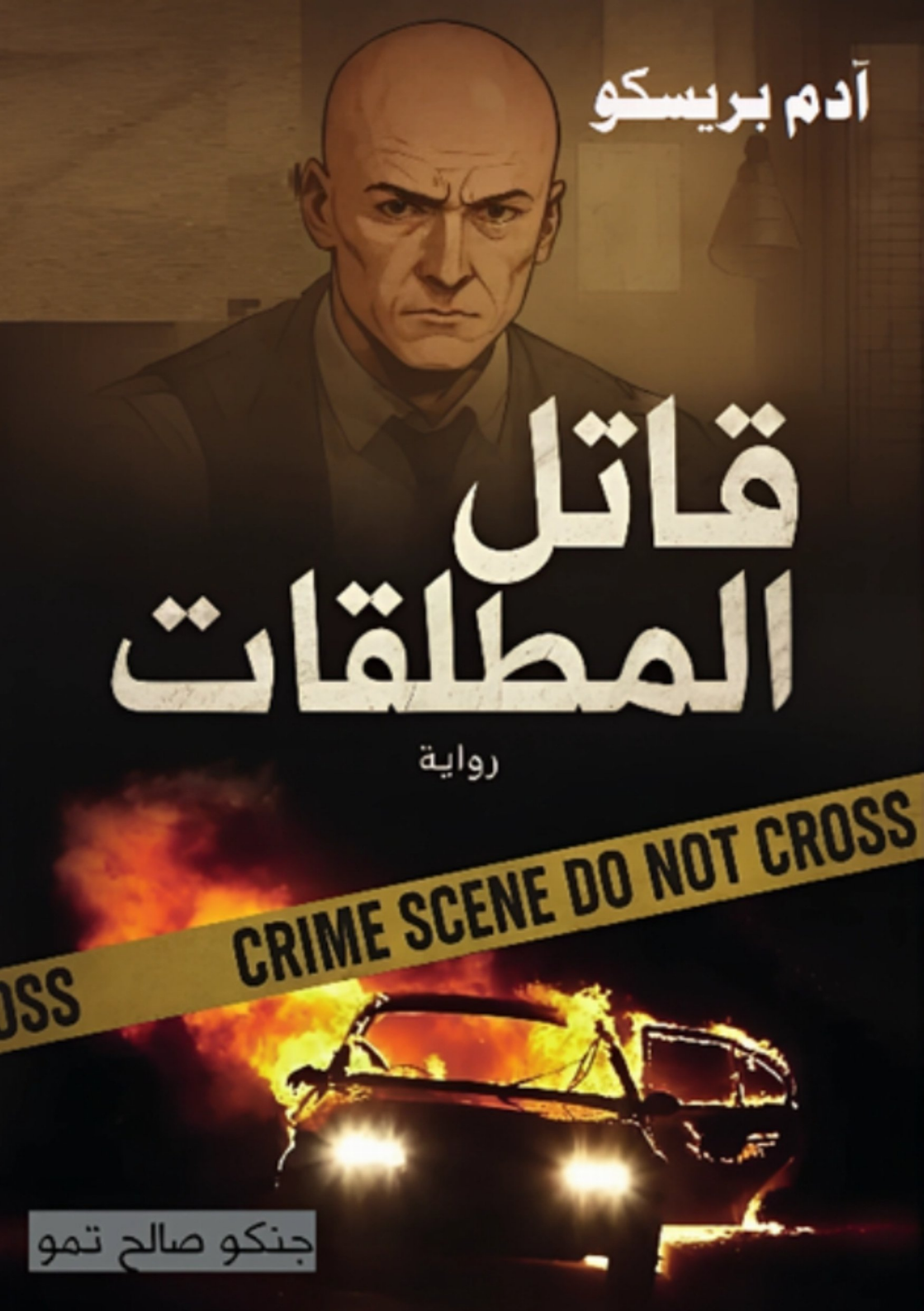

جنكو صالح تمو

آدم بريسكو

قاتل المطلقات

رواية

- جنكو صالح تـمُّو
- آدم بريسكو (قاتل المطلقات)
- الطَّبعة الأولى 2025م

- حقوق الطَّبع محفوظة للمؤلِّف

آدم بريسكو

قاتل المطلقات

رواية

جنكو صالح تمُّو

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلِّف

الطَّبعة الأولى

1446هـ - 2025م

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات
أو نقله أو استنساخه بأيِّ شكل من الأشكال
من دون إذن خطِّيٍّ من المؤلِّف

الإهـــــداء

إلى أبي وأمي

– 1 –

أخرج القاتل ألبوم صوره، من درج جانبي لسرير نومه، قبل أن يأتي موعده الغرامي، مع مُطلقةٍ حسناء، بِساعةٍ واحدةٍ فقط، وسحب منها، صورة قديمة جداً.

تمتم همساً:

ـ ما أسرع، ما تمضي الأيام، نعم، لقد مرَّ، زمنٌ طويل على ذلك؟

قال، وهو يُقسم، بصوتٍ مُرتفع:

ـ قسماً، ستكون هذه ضحيتي الأخيرة، فلن أزهق روحاً مُقدسة من بعدها، وسأحرقُ، هذه الصورة اللعينة.

وبِغرور تام، أعاد الصورة القديمة من جديد إلى الألبوم، وأرجعها إلى الدرج نفسه، وهو واثق وراضٍ عن نفسه، وحضرت الحسناءُ إلى منزل العشيق في التوقيت الملائم، ومارسا ما كان فيه النصيب من العشقِ والغرام، حتى وقتٍ مُتأخر من تلك الليلة، وفي الصباح دلف الرجلُ إلى الحمام، بينما ضجرت المرأة المُمددة على السرير، ولا تعرف كيف تمضي وقتها، فقامت على الفور بِفتح الدرج الجانبي لِسرير النوم، وأول ما

وقعت عليه عيناها، كان ألبوم الصور، فقامت بإخراجه بِغرض التسلية، ريثما يعودُ عشيقها من الحمام، وبِحركة متُثاقلة فتحته، حتى عقدت الدهشةُ لسانها، كانت صورة المقدمة لمسدس جلوك أميركي، وكان يتبعُها بالترتيب صورة لمسدس بريتا صنع إيطالي، والصورة التي تلتها كانت لقاذف قنابل يدوية، واحتوت الصفحة الرابعة على مجموعة متنوعة من الرشاشات الآلية، فكلما قلبت في الصور، كانت تظهرُ لها قطعة من السلاح العسكري، حتى وصلت إلى آخر صورة بالألبوم الغريب، فقد رأت صورة امرأة شابة، لم تكُن جميلة، ولم تكُن قبيحة، وسحبت الصورة في الحال، لقد اكتشفت شيئاً شاذاً، ومُريباً خلال تصفحها، وبدت مشوشة الذهن، لا تعرف كيف تُقرر، أهي صور السلاح كانت بِمثابة شواذ، أم صاحبة تلك الصورة الوحيدة المُختلفة، كانت شاذة، ولا تنتمي إلى ذلك العالم العنيف، بأي شكل من الأشكال، بدا الأمر بِرمته لديها غير جلياً، كان يجب عليها، أن تقلب صاحبة الصورة، بين أناملها المضطربة، كما هو معروف، بِحُكم معرفة تاريخ سحب الصور، وعسى تجِدُ اسم صاحبتها، وقد يكونُ مُدوناً على خلفية صورة المرأة الشابة، وبهذه القلبة، فقد أُصيبت بِصدمةٍ بالِغة، وبِعينٍ حذرة راقبت باب الحمام المُغلق، الذي كان

يواجه باب غرفة النوم، وبِعينٍ مرعوبة، ظلت مُعلقة على خلفية الصورة، ارتجفت يداها، وسقطت الصورةُ مُتأرجحة على الأرض، وما كان عليها، أن تحبو، لِتلتقطها من جديد، فأصبحت عمياء كيوم ولادتها، وراحت تُمشِطُ الأرضية بِراحتيها المُتصلِبتين، وبقيت روحها مُعلقةً، تطفو ما بين الأرض والسماء، وكان عنفُ ضربات قلبها في تزايدٍ مستمر، الحل الوحيد أمامها، أن تمتلك زمام السيطرة على نفسها سريعاً، أن تسترد وعيها حالاً، قد تكون فرصتها الوحيدة، لِتنجو من بين براثن هذا الوحش الآدمي، وسيطرت على نفسها بِصورة عجيبة، وبِقُدرة القادر، على تصريف الأمور الصعبة، وضعت الصورة داخل الحقيبة اليدوية خاصتها، في الوقت الذي أعادت فيه الألبوم إلى مكانه السابق، وبسرعةٍ فائقة، تسللت خلسة على رؤوس أصابعها خارج المنزل، وفرت، دون أن تُحدث ضجةً ورائها.

بينما كان يجلسُ العجوز عليش بلعون الذي يهتم بِجرائم القتل شديدة الغموض، بِحانة الضفادع المموهة على دوار طريق مطار مدينة القامشلي، وكان ينظر مُتأملاً إلى ورق الجدران اللاصق، وعليها رسوم ضفادع صغيرة، يتناسبُ مع اسم الحانة، ولكن قذارة المكان ستظل باقيةً حتى قيام الساعة، وقرر بلعون، أن يرتاد تلك الحانة، حتى آخر يوم في

حياته، لقد أصبح ذلك المكان جزءًا منه، لا يمكن الاستغناء عنه، كما لا يمكن للسمكة الاستغناء عن الماء، وإذا تعلق الإنسان بالمكان، فمن الصعب أن يستغني عنه بِسهولةٍ، وإذا قام بِتركهِ، فمن الممكن أن يُصاب بِمرضٍ نفسي، قد يؤدي بالنتيجة، إلى مرضٍ عضوي، وكان جميع أهل البلدة، على علمٍ مُسبق، بِمكان جلوسه الدائم في تلك الحانة، فتظل طاولته فارغة غير مشغولة، إذا ما غاب يوماً عنها لأسباب قاهرة، ويعرفون الموعد الذي يتواجدُ هناك، ما كان العجوز يعلم، بأن امرأة حسناء موفورة الجسم، قد أبكرت قبل حضوره، وحضور الزبائن والرواد الدائمين، ودلفت مذعورةً إلى حانة الضفادع المموهة، وذهبت إلى تلك الطاولة التي يجلسُ عليها بلعون، وأخرجت صورة من حقيبتها اليدوية، وكانت تلتفتُ من حولها مُضطربة قلقة، وقد دستها بِخفة الساحر، تحت إبريق الماء، فوق الطاولة غير المشغولة، حتى تلك اللحظة، وجاهدت أن تفر هاربةً، حتى لا يُشاهدها أحد، وكاد قلبها أن ينفطر، حين تهيأ لها ظلاً.

وكان من عادة النادل، أن يأتي أولاً إلى العجوز.

سأل النادل:

ـ هل من خدمة يا سيدي؟

ـ هل عندكم جريدة قامشلي جليد؟

ـ لدينا عدد اليوم.

ـ السبت.

ـ نعم.

هز العجوز برأسه:

ـ اجلبها.

لم يمر وقتٌ طويل، حتى كانت الجريدة مستقرةً أمام العجوز، وهو يتصفحها، بحثاً عن جرائم القتل المتنوعة، التي وقعت بالمنطقة مؤخراً، لم يكُن مُهتماً بِمُتابعة الأخبار السياسية، أو حتى الأخبار الاقتصادية، وبالنسبة إلى أخبار الرياضة، والتي أصبحت موضة العالم الحديث، فما كانت تهمهُ بشيء أبداً، وبدأ يتصفح مُباشرة، صفحة الحوادث والجرائم الجديدة، وأول جريمة بدأ بِقراءتها، كانت تحت عنوان.

قتل طفل صغير:

كشفت التحقيقات الجنائية، إنه في إحدى القُرى التي لا تبعد عن مدينة القامشلي، كان طفل صغير يرعى بالغنم والماعز على أطراف وادٍ صخري غير عميق كثيراً، خارج حدود القرية، وعندما أطل بِرأسه من فوق الجرف إلى الأسفل، وقعت عيناه البريئتان، على شاب وشابة كانا يُمارسان فعلاً فاحشاً، ولكنهم لم يروه، وبِذهابه إلى منزله، حيثُ أخبر والدته، بما شاهده قبل قليل، حذرت الأم طفلها، بألا يُخبر أحداً بِذلك، وأن يبقى الموضوع طي الكتمان، وحذره مُجدداً، إذا ما رآهُم مرة أخرى، عليه أن يتجاهلهم، وأن يبتعد عنهم، مُدركةً بِذلك إحساس الأم بالخطر، وشاء القدر، ذات يومٍ آخر، كان الولد يسرح بالغنم في نفس المكان السابق، ولكن هذه المرة، عندما كشفهم للمرة الثانية، لم يتوارَ عن مجال رؤيتهم، فما كانت على المرأة أن حرضت الشاب، أن يقبض على الصبي الراعي، وبعد أن أمسكا به، قاما بِتعصِب عيني الصبي في الحال، وتم تحطيم رأسه وتهشيمه، على حافة نتوء صخري حاد، ثُم فرا بعد ارتكابهما جريمتهما النكراء، وعندما تأخر الوقت، عادت الأغنام وحيدةً إلى المنزل، دون راعيها الصغير، فحلَّ المساء، ولا أثر للصبي، وخرج أهله يبحثون عنه في الخلاء، و البرية الواسعة، بعد أن فتشوا عنه جميع دور القرية

وأزقتها، ولكنهم لم يعثروا عليه، وتوجهت مجموعة أخرى، إلى أطراف الجرف الصخري خارج حدود القرية، كان الصبيُ يرعى فيه أغنامه دائماً، فعثروا على جثته، كان معصوب العينين ومُحطم الرأس، وحضرت الشرطة إلى مكان الحادث، وعاين الطبيب الشرعي الجثة، وبالتحقيق الأولي مع أم الولد، فقد اعترفت، بأن ابنها أخبرها سابِقاً، أنه رأى شاباً وشابة من نفس القرية، قبل هذه المرة، كانا يُمارسان الفحشاء والرذيلة معاً في الخلاء، فقبضت الشرطة عليهما، وقد اعترفوا، أنهما اللذان ارتكبا جرم القتل، عند الجرف الصخري، خوفاً من افتضاح أمرهما، وقالا في إفادتهما التي أدلوا بِها في محضر التحقيقات الأولية، أنهما نادِمان على ذلك.

وكانت الجريمة الثانية تحت عنوان.

قتل امرأة مُسنة:

كشفت تحقيقات مركز الشرطة، عن وقوع جريمة قتل، عن سابق إصرار وترصد، في منطقة المعبدة، وأشار التقرير، أن امرأة كانت تعيشُ، وحيدة في منزل واسع وكبير، بعد أن هاجر جميع أولادها إلى الخارج، وكانت حالتها المادية ميسورة، لقد تغيبت العجوز مدة يومين، دون أن يلاحظ وجودها الجيران، عندها ساورهم الخوف والقلق على حياتها،

فاجتمعوا أمام باب منزلها، ثُم قاموا بِكسر الباب، ودخلوا، فرأوا المرأة مقتولة، والجثة قد انتفخت، وكانت الرائحة الكريهة، تفوح من جميع أجزاء المكان، وفي نهاية القصة، ذُكر إن الشرطة، ألقت القبض على القاتل، وقد تم الاشتباه بِجار لها، كان في ضائقة مالية شديدة، وكان مديوناً تقريباً من جميع أهالي الحي، بِما فيها المغدورة نفسها، فكان دافع الجريمة والقتل، من أجل الحصول على المال.

وضع بلعون الجريدة، وظل عابثاً لمدة، إلى أن أتى إليه النادل لِتلبية طلباته، ولذلك رآه النادِلُ مُتجهماً، وحاد المزاج، بعد أن انتهى من تصفح الجريدة، فأراد أن يخفف عنه، وبدلاً من أن يسأله عما يريد من طلبات.

قال النادل:

ـ سيدي ألم تجد ما تبحثُ عنه في الجريدة؟

ردَّ بلعون:

ـ جريدة هابطة.

ـ أيسرُك، أن تسمع مني جريمة قتل فظيعة، حدثت مؤخراً.

سأل بلعون:

ـ هل قرأتها على صفحات التواصل الاجتماعي، أم التقطتها من إحدى هذه الجرائد؟

ـ ليست من هذه، وليست من ذاك.

قال بلعون:

ـ أهي حصلت في عائِلتُكم؟

ـ لا.

ـ إنها حصلت عندنا بالحي الذي نقطنهُ.

قال بلعون:

ـ هذا ما توقعته.

وبدا النادِلُ فرحاً، وهو يسرد الأحداث، والعجوز يُصغي، ويستمع بانتباه شديد إليه.

قال النادل:

ـ سمعنا ذات يوم، أن جارنا المُسافر عاد إلى البلد، وحامت حوله شائعات من الفضوليين، الذين التقوا به صدفةً في الطريق، أو سواءً من

الذين قاموا بزيارته إلى البيت، لأداء واجب الزيارة بِحُكم الجيرة، فقالوا كان وحيداً، وفهموا من أنه طلق زوجته في تلك البلاد التي جاء منها.

قال بلعون:

ـ إن الزيارة واجب علينا كُلنا تأديته، وتفرضُه علينا عادات وتقاليد المجتمع الذي نعيشُ فيه.

وجد النادلُ، أذناً يُصغي إليه، ويُعطي له اهتماماً، ووزناً يليقُ به.

قال النادل:

ـ وتوالت الأخبار، وانتشرت بين الهامسين، كما النار في الهشيم، وسمعنا من جملة ما سمعناه، على لسان الفضوليين والثرثارين، كان يبحث له عن عروس جديدة. بعد أن انفصل عن زوجته القديمة، فجاء ليستقر هنا، وسيتزوج من ابنة حلال، ولن يعود مرة أخرى إلى تلك البلاد الأجنبية.

قال بلعون:

ـ بالطبع رأي سديد، أننا نختلف عنهم بِطبائعنا وأخلاقنا، التي نشأنا وترعرعنا عليها منذُ الصغر، عن أخلاق هؤلاء الأجانب، وإن المرأة

في تلك البلدان الغربية، فهي تتمتع بالحرية المُطلقة والكاملة، والرجل يُعتبر بِمثابة كلب الحراسة، لا أقل ولا أكثر، فهو يعملُ دائماً، ويلبي رغبات المرأة واحتياجاتها التي لا تنتهي، وهناك المرأة، تثور وتتمرد على زوجها لأتفه الأسباب، فتشتكي عليه عند البوليس، يُطردُ من البيت بعد عشرة طويلة، فتجدُ الزوج يتضورُ في الشارع ذليلاً وحيداً ومقهوراً.

قال النادل:

ـ وبعد شهر، أو أكثر، تزوج الرجلُ من واحدة من أهالي الحي. وفتح لها بيتاً جديداً، جهزه بأحدث الأثاث، والأدوات الكهربائية الحديثة، وأقام حفلة كبيرة، تحدث عنها الناس كثيراً، ولِكثرة ما بذخ فيها، وما وزعه، من أنواع الضيافات الفخمة، على الناس المدعوين إلى الحفلة.

سأل بلعون:

ـ ماذا جرى بعد ذلك؟

أجاب النادل:

ـ عندما سمعت مُطلقته، التي كانت تعيش في الخارج، بِخبر زواجه الجديد، فلم تطق صبراً، فبدأت تُراسله سراً، وتتحدث إليه كل يوم.

قال بلعون:

ـ وقطعت تذكرة سفر سريعة، وجاءت الأفعى المجلجلة السامة ذات الأجراس على عجل، إلى مُطلقها، حتى تستعيده من براثن الحية الحليب، الأقل سُمية، التي كانت تقضي أحلى أيام شهر عسلها، في حضن زوجها السابق.

سأل النادل مُتعجباً:

ـ من الذي أخبرك، بِذلك يا سيدي؟

ـ من خلال مُتابعتي القصص، أكمل يا بُني، فأنا لستُ شيئاً، أمام خبرة صديقي المحامي.

ـ من هو صديقك، المحامي هذا؟

لم يجب.

_ لقد أكدت لزوجها أنها تُحبه كثيراً، ولا يمكنها أن تستغني عنه، وإذا لم يُطلق زوجته الجديدة ويهجرها، ستموت في الحال.

قال بلعون:

_ لقد بلغنا حافة الهاوية.

_ نعم. وصلنا إلى حافة الهاوية، قامت الزوجة بِتكليف زوجها وشقيقها، أن يقوم الاثنان بِتنفيذ عملية قتل العروس الشابة، وفي إحدى الليالي قاما بِطعنها، وهي نائمة في فِراشها، بإحدى عشرة طعنة، من نصل سكين حاد، في جميع أنحاء جسدها الفتي.

قال بلعون:

_ اللعنة عليك، يا أحمق.

انسحب النادل المسكين مرعوباً، ولم يجسر، أن يسأله عن سر شتمه له، ولم يكُن مُدركِاً، إن العجوز، لا يحُب الاستماع إلى قصص جرائم، تم فيها القبض على القاتل، يريد أن يبحث، ويشارك بِنفسه، في كشف الجُناة والمجرمين المُتوارين، عن أنظار العدالة.

لقد تقدم السنُ بالعجوز، فأصبح وزنه ضئيلاً جداً، وفي الآونة الأخيرة، قام بِزيارة الطبيب، من أجل إجراء عملية الغضروف في ركبتهِ، ولكن الطبيب، لم يوافق على إجراء العملية الجراحية، لإن نسبة النجاح لم تكُن كبيرة، ونصحه بأن يأخذ علاجه على شكل دواء، ومن الأفضل أن يبتاع عُكازاً، يستنِدُ إليه في التحركِ والمشي، بالبداية عارض تلك الفكرة، من أساسها، ثُم رضخ للأمر الواقع، فعمل أخيراً، بِنصيحة طبيبه الخاص، ومنع عليه قبل ذلك، أن شرب الحشيش والبيرة ممنوع عليه، فوافق على ذلك، وقبل أن يُغادر حانة الضفادع المموهة، أحس أن قصة النادل الغبي جف حلقه، وعندما تهيأ لِرفع إبريق الماء، وجد تحته تلك الصورة، وأخذها، ما أن قلبها على قفاها، على الأقل لِمعرفة تاريخ سحبها، وكذلك اسم صاحبها، وعندما فعل هذا الشيء، تفاجئ بِشكلٍ غريزي، ثُم نظر من حوله ملياً، ودسها في جيبه، وغادر الحانة، وأمامه حل لُغزٍ جديد.

-2-

لم يعد بلعون بِحاجة إلى منزلٍ خاص له، فقام بِبيع منزله، وظل وحيداً بعد أن قُتلت زوجته، فقرر حينها أن يعيش بقية حياته مُقضياً بين الفنادق المُختلفة داخل المدينة، كطيرٍ حُر، هكذا طاب له أن يعش ما تبقى من حياته، حتى يأتيه الأجل في أية لحظة ويختطفه من الدنيا الفانية ، وكان حصوله على تلك الصورة منذُ الأمس، قد جعلته منقبض الصدر مُكدر النفس، وكان يشعر بالخوف والقلق على حياة الشخص الذي أوصل له الصورة، بِهذه السرية التامة، ولا يعرف ما الذي عليه أن يفعله دون صديقه المحامي المستقل آدم بريسكو، ذلك المُحقق البارع، والمعروف بِنزاهته، و تحقيقاته الخاصة في عالم الجريمة، وكان العجوز يتألم ويتعذب مع مرور كل دقيقة من الوقت، وهو ساكنٌ لا يعرفُ كيف يـتصرف؟ ومن أين يبدأ؟، فخرج باكِراً في صباح يوم الأحد، واستقر في جلسته على مقعدٍ في حديقة سوق حطين، الواقعة جنوب سوق حطين التجاري الكائن بِحي الهلالية، لقد بدأ هذا السوق بالبسطات الشعبية من قِبل الباعة المتجولين، ثم تطور وضع السوق، وبُنيت فيها الكثير من المحلات التجارية، ولكن البسطات الشعبية ظلت أكثر رواجاً خاصة في يوم

الأحد، وما كان حضور بلعون اليوم، إلا تحت إطار أولى تحركاته، منذُ أن استلم الصورة البارحة، وكان الهدف، هو أن يلتقي بالسائق مهران عبده، والذي كان يعملُ معهم ضمن فريق التحقيق الذي شكلوهُ سابِقاً، أما عن الحديقة بدت صغيرة قياساً مع الحدائق الأخرى، كانت مُسيجة بِجدارٍ اسمنتي على ارتفاع متر واحد عن الأرض، تعلوها شبكة من الدرابزين الحديد بِارتفاع نصف متر، وكان للحديقة بابان: الباب الأول كان يقعُ على جهة الجنوب، والباب الآخر على جهة الشرق، وكانت معظم الأشجار في الحديقة للصنوبر والصفصاف والحور، وبالرغم من الجو المنعش في الحديقة، ظل العجوز القط مُكتئباً في جلسته، حتى وصل المُحقق الثاني مهران عبده، على طلبٍ مستعجل منه، وجلس إلى جانبه، بعد أن سلم عليه.

قال عبده:

ـ أرى القط حزيناً.

ـ فوق ما تتصور.

ـ ماذا جرى؟

_ أشعرُ أن روحاً ستزهق.

_ تحرك، ما الذي يمنعك؟

انحنى العجوز ضَجِراً نحو الأسفل، وقبض على عدة أوراق صفراء جافة سقطت على الأرض تحت قدميه، فقام بِسحقها بين يديه بحقدٍ وغل، جاعلةً منها مثل الطحين الناعم، ثُم ذراها في الهواء.

قال العجوز:

_ تخيل أن الموضوع فوق مستوى فهمي بِكثير، وليس لدي إمكانيات للحل، وأنا عاجز عن القيام لمنع وقوع جريمة القتل.

قال عبده:

_ هذا سهلٌ جداً.

سأل القط:

_ كيف ذلك؟

أثناء ذلك، ارتفع من الشارع القريب، عدة أبواق من الشاحنات الكبيرة.

قال عبده:

ـ عليك أن تستنجد بالمحامي العبقري صديقنا آدم بريسكو.

ـ ألا تعلم.

ـ بِماذا؟

ـ إنه سافر منذ أكثر من شهر تقريباً.

ـ إلى أين سافر؟

دلك العجوز بِكلتا يديه على ركبتيه اللتين كانتا تؤلِمانه بِشدة، ونظر إلى عبده.

قال لنفسه:

ـ إنه أغبى إنسان مرّ عليّ حتى الآن.

ثُم شغل نفسه بالبحث في جيبه عن شيء، لم يكُن موجوداً فيه أصلاً.

قال العجوز بلعون:

_ لقد استدعته دولة مُجاورة، للاستعانة بالخدمات والإمكانات العالية لِصديقنا المحقق المستقل آدم بريسكو. لإماطة اللثام عن أعقد جريمة، أُرتكِبت في ذلك البلد، لإن الجهات الأمنية هناك، قد أصبحوا عاجزين عن اكتشاف الجُناة والمجرمين.

قال عبده:

_ اتصل به، وأخبره الآن.

قال بلعون مُبتسماً:

_ الآن.. الآن.

_نعم. الآن.

_ رقمه خارج التغطية، وعلى الأغلب أخرج شريحة هاتفه.

_ ولكن ما العمل؟

_ العملُ، أن يتصل هو بِنا، فنحنُ من الصعب أن نتصل به، وعلينا أن نصبر حتى ينتهي من مهمته التي كُلف بها، ولكن الصبر ليس مفتاح الفرج للآخر، الذي أوصل إلينا الصورة الدليل.

قال عبده عندها:

ـ عن أي صورة، ودليل تتحدث، ومن هو الآخر؟

كلف بلعون نفسه الانشِغال بالعكازة الجديدة، التي وصفها له طبيبه الخاص، كدواء لمفاصل ركبته، يعتمدُ عليها أثناء المشي والتحرك، لأنه يعرف ضُعف قُدرات عبده بالتحقيقات.

سأل عبده غير مُصدِقاً:

ـ ما هذا أيها القط؟

ـ عُكاز.

ـ أعرِفُ أنها عُكاز.

ـ إنها عُكاز طبي للمشي.

ـ لمن؟

ـ إنه لي.

ـ لا أُصدق أن القط العجوز يحملُ عُكازاً.

ـ ها أنت ترى بِعينيك، فلماذا لا تُصدق؟

صمتٌ وجيز بين الاثنين.

لم يتخيل أبداً المُحقِقان المستقلان، أن يلتقيان في حديقة سوق حطين، بِشخصين غريبي الأطوار، فكانت الأولى تُدعى ميادة الشباب، كانت تمتلك جسداً موفوراً، وكانت جريئة جداً بالمُناقشات، وهي عضوة في مُنظمة الدفاع عن حقوق المرأة، وبالرغم من عدم حصولها على أي نوع من الشهادات العُليا، وحالها حال العديد من زميلاتها السيدات، إلا أنها فتحت دورة تدريبية وتعليمية مدتها ثلاثة أشهر تقريباً، فأصبحت مُثقفة من الطراز الأول، وجاء الشباب مع ابن أخيها من أجل اللعب والتسلية في الحديقة، وكان الرجل الآخر الذي التقى معهم صدفةً، فهو يدخلُ يومياً من باب الحديقة الجنوبي، لأنه كان يملك منزلاً بِذلك الشارع، ولِذلك تراه يمر بالحديقة يومياً ليخرج من الباب الشرقي القريب من السوق التجاري، وكان يُدعى معصوم بابا، وهو شاعر مبتدئ، وكان طويل القامة، ذو أنفٍ أقرب إلى أنف شرشبيل، ومعظم أشعاره كانت رديئةً للغاية، لم يملك يوماً ذرةً واحدة من الحس والشعور المرهف، الذي يجعل منه شاعراً حقيقياً، وغاب عنه أيضاً صفة الشجاعة والرضى عن نفسه وعمله، وبِفقدانه هذه الصفات الشخصية المتميزة،

اكتسب بدلاً منها ثقافة لابأس بِها، وفلسفة خاصة اكتسبها من غيره، يُجادل بِها خصومه المُتحاورين في المُناقشات الحادة والعقيمة، وبِحُكم معرفة الضيفين بالعجوز المُحقق، سلموا عليه، وجلسوا معاً، وما إن ارتاحوا في جلستهم تلك، حتى نظر مهران عبده، إلى ساعته ثُم نظر إلى بلعون.

قال عبده:

ـ لم تبقَ إلا ساعة واحدة، وسأذهبُ إلى المحكمة.

كان رأسُ بلعون مُتدلياً على صدره، وكأنه يأخذ غفوة قصيرة.

سأل بلعون:

ـ خيراً ما الذي ستفعله في المحكمة؟

ـ وهل هُناك غير وجع الرأس؟

قال بلعون:

ـ ما هو وجع رأسك هذا، أوجع رأسنا معك؟

ـ الطلاق.

أعقب على ذلك الشاعر بابا:

ـ نعم. أكثر من نصف نساء البلد أصبحوا في عِداد المُطلقات.

سأل المُحقق بلعون:

ـ ما السبب برأيك؟

ـ السبب برأيي، هي التجارة بِشعار حُرية المرأة.

قالت الرفيقة ميادة الشباب بِحدة:

ـ لا يُمكن إلا نعتك بالرجعي والمُتخلف.

ـ هذا رأيُكِ يا آنِسة، وأنا أحترمه بِشدة.

ردت الشباب:

ـ مشكلة الرجل بِشكلٍ عام، إنه ينظر إل كل شيء، كأنه ملكه الخاص.

ـ ليس ذنبي.

ـ ذنبُ من يا لبيب؟

قال بابا بِثقة:

ـ إنه ذنب الحضارة، إذا أحببتِ أن تفهمي على الأقل.

سألت الرفيقة ميادة الشباب مُجدداً:

ـ ما دخل الحضارة في ذلك؟

ـ ها. ها. اعلمي يا رفيقة، إذ لم تكُوني تعلمين، عندما خرج الإنسانُ الذي كان يعتمدُ على ذراعيه في القفز والتنقل على الأشجار داخل الغابة، كان يعتمِدُ في غذائه على صيد الحيوانات، ويأخذ في الوقت نفسه كهوف الجبال مأوى ومسكناً له، ضد مخاطر الحيوانات المفترسة، وضد مخاطر الطبيعة والمناخ القاسي، الذي كان يتعرض له يومياً، فقد ترك تلك المرحلة المبكرة من التاريخ كلها ورائه، وانتقل إلى مرحلة أخرى من العيش والحياة، وخلالها تم الانطلاق عبر السهول الخضراء الواسعة، واتخذ له سكناً إلى جِوار ضِفاف الأنهار العذبة، وبدأ بِمرحلة الزراعة، مُمهِداً بِتكوين أولى الحضارات البشرية في بلاد ما بين النهرين.

أضاف معصوم بابا:

ـ وهذا ما جعل الرجل سيداً ومالِكاً، حتى بِما فيها المرأة والأرض، والحيوانات التي كانت تعيشُ حياةً حُرة آنذاك، أي بالمعنى الشامل أصبح الروح مُقيداً فاقِداً لِحُريته إلى الأبد.

قالت الشباب مُدافِعةً عن حقوق المرأة:

ـ يجب أن تتساوى المرأة مع الرجل في الحقوق والواجِبات المُختلفة.

ردَ عليها الشاعر بابا الذي أصبح فيلسوفاً:

ـ المُساواة التامة والحقيقية مع الرجل في الأفعال، هذا يعني عودة الإنسان في مسيرته التقدمية إلى الوراء، إلى ذلك الماضي الأسود الحالك، حيثُ الرجوع إلى المشاع والهمجية الأولى، والعيش في أحضان الغابة، والسكن داخل الكهوف المُعتمة.

وأضاف أيضاً:

ـ وستسقط علاقة الزواج بين الرجل والمرأة، لإن المرأة سلفاً ستُصبح مشاعاً بين عدد لا مُتناه من ذكور العائلة الواحدة، كما كان سابقاً.

قالت الرفيقة ميادة الشباب وكُلها أمل:

ـ ألا يحق للمرأة، أن تخون الرجل، كما يخون الرجل المرأة مع امرأة أُخرى.

قال بابا مُتباهياً:

ـ رفيقة ميادة، خُذي هذه الحكمة من فم شاعر مبتدئ، لقد أصبحت المرأة في ظل الحضارة الجديدة، بِمثابة خزنةً للرجل.

صفر عبده بِصوت عالٍ مُتسائلاً:

ـ المرأة خزنةُ الرجل.

ـ نعم.

ـ كيف؟

قال الشاعر بابا:

ـ إنها مسألة بسيطة للغاية، وهذه أيضاً من نتائج الحضارة، الملك يريد ولد من صلبه ليورثه من بعده كُرسي عرشه، وكذلك الرئيس، والوزير، والضابط، والعامل، والفلاح، وحتى العباقرة والقادة العُظماء مثلُ ماركس ونابليون، كانوا يُريدون ذلك، فيكف سيرث الرجل أمواله وأملاكه لولدٍ، لا يكونُ من نِتاج بذرته الخاصة.

سألت الرفيقة الشباب:

ـ ماذا لديك أيضاً؟

ـ يجب أن يتطابق الحمض النووي للولد مع الأب.

ـ وإلا.

ـ وإلا ينكر الأب صلته بأولاده، ويحرمهم من جميع ممتلكاته.

قال المُحقق الثاني عبده مُنبِهاً:

ـ يا جماعة.

قال الشاعر بابا:

ـ أنا أعرف ما ستقوله، أن أُنهي الحديث.

غاب بابا قليلاً، وجاء وهو يحملُ في حُجره حجراً ثقيلاً، ووضعه أمام المجموعة، موجهاً حديثهُ إلى ميادة:

ـ احملي هذا الحجر.

ـ أنت تستهزئ.

وتوجه إلى بلعون قائلاً له:

ـ احمل الحجر من فضلك.

فقام الرجل ضئيل الجسم، ورفع الحجر الثقيل عن الأرض، ثُم أنزله ببطء إلى الأرض.

قال الشاعر الفيلسوف:

ـ انظري فقط، فهل يتساوى القوة مع الضعف في فردة ميزانٍ واحدة.

قالت الرفيقة الشباب:

ـ لا أُصدق ما تقوله.

ـ لا بل صدقي. إن استعمال البنية الجسدية القوية في البيت والعمل ضرورية، على الأقل لأداء الأعمال المُجهدة والثقيلة، بالرغم من ضعفه وسنه إنه أقوى منك.

قالت ميادة الشباب بِحزم:

ـ يجب أن تكون وراء القضبان، أنك بِهذه الأفكار المُسممة، تقوم بِهدم المجتمع والدولة.

أكد بابا:

ـ أتمنى ذلك من كُل قلبي الشغوف، لأنني عاطل عن العمل كشاعر.

أضاف بابا:

ـ وأُزيدكِ أيضاً، هناك فروقات كثيرة ما بين الذكر والأنثى، بيولوجياَ، ولسنا بِصدد ذكرها الآن، لأن صديقنا عبده في عجلة من أمره.

وأضاف أخيراً:

ـ السلام عليكم، يمكننا أن نُناقش هذه القضية في لقاءات أخرى.

وانحنى لهم بِطريقة كوميدية، وانسحب مُغادراً الجماعة الجالسين في الحديقة.

ثُم تركتهم من بعده الرفيقة ميادة الشباب آخذةً بيد الولد الصغير، فلم يبقى غير الصديقان بلعون وعبده.

قال عبده:

ـ لم يبقى إلا القليل من الوقت على موعد الحضور إلى المحكمة، ماذا تُريد مني؟

ـ لدي صورة أُريد معرفة التاريخ، والاسم.

ـ لدي صديق مُصور.

ـ من؟

ـ مُصور يعمل منذُ سنوات في مهنة التصوير، وهو يعرفك، وأنت لا تعرفه، عسى أن تستفيد منه في قضيتك العاجلة.

ردَّ عليه بلعون بِعجل:

ـ اسمه؟ وعنوانه؟

ـ الاسم عادل إبراهيم، والعنوان لديه مزرعة على طريق عامودا.

ودعا بعضهما، فقد غادر عبده أولاً، أما القط فأخذ سيارة أجرة، للذهاب على الفور، إلى لقاء المصور في مزرعته.

-3-

اتخذ بلعون مكانه بِجانب سائق سيارة الأجرة استعداداً للانطلاق.

أمره بلعون:

ـ طريق عامودا، مزرعة عادل إبراهيم.

ولكن صاحب السيارة لم يتحرك، وظل واقفاً ككتلة خرسانية في مكانه.

سأل بلعون نافذ الصبر:

ـ هل هناك شيء ما؟

ـ نعم.

ـ ماذا هناك؟

ردَّ السائق:

ـ لا أعرف الاتجاهات.

قال بلعون:

ـ لا تعرف الطريق، وتقود السيارة وسط ازدحامٍ مروري في المدينة، وكثرة المسالك المُتعددة، والطُرق المُعقدة.

ـ نعم، إن الزبائن الطيبين أمثالك من النُبلاء، يقومون بِتقديم التوجيهات، بِشأن الشوارع والطُرق التي يجب عليَ أن أسلكها، لغاية الوصول إلى العنوان المطلوب.

قال بلعون بلهجة فظة:

ـ ألست من نفس المدينة يا دب؟

ـ بلى، لقد ولدتُ، ونشأتُ، بِهذه المدينة، بالإضافة إلى أنها مكان ولادة أجدادي أيضاً.

قال بلعون:

ـ يجب أن أُحذر، إنك جديدٌ رُبما إن لم يخب ظني، في مهنة السواقة، فلم تحفظ بعد اسم الشوارع، أو الاتجاهات المُختلفة، أليس كذلك؟

ـ لم تحذر، فأنا سائق قديم جداً في هذه المهنة، حتى شاب شعر رأسي.

قال بلعون لنفسه:

ـ يا سلام، لقد وقع نصيبي وحظي، بالرغم مما أنا فيه، على سائق أحمق.

أدار السائق مفتاح تشغيل المُحرك.

قال بلعون:

ـ أمري لله أنا الذي سأدلُك على الطريق الصحيح.

ـ هذا من لُطفك.

ردَّ بلعون:

ـ هب أنني، لن أعود معك، في رحلة العودة.

ـ سأظلُ واقِفاً في نفس المكان، حتى يأتي ابن حلال، وسأعود بِه مجاناً إلى المدينة، ولن آخذ منه أُجرة التوصيلة.

ـ حسناً هذا جيد.

تحركت سيارة الأجرة من أمام باب الحديقة بِاتجاه الشمال، ثُم لفت الدوار، وأخذت طريقها نحو الجنوب بِحي الهلالية، وعند إشارات

المرور بِزاوية الدوار، كانت إشارة المرور تُشير إلى الضوء الأحمر، فعلى السائق أن يُوقف مركبته، ولكنه بدلاً من ذلك تجاوزها، مُخالِفاً بِذلك القواعد المرورية، وظل مُستمراً في السير، فكاد أن يصطدم بسيارة شحن ثقيلة، كانت تتحرك من الاتجاه الآخر للطريق المفتوح.

سأل بلعون المُرتعب بِنبرة عتاب:

ـ يا رجل كُدت تقتلنا، ونحن بِحاجة إلى كُل دقيقة لِنعيش حياتنا، لأنني في مُهمة مستعجلة.

وتابع المحقق المساعد بلعون مُجدداً:

ـ لماذا لم تتوقف عند الضوء الأحمر بِزاوية الدوار؟

ردَّ السائق بِكُل ثقة:

ـ ومن قال لك، إنني خالفتُ قانون المرور، لقد كان ضوءُ الإشارة أصفراً.

أجاب بلعون لاعِناً:

ـ اللعنة، تباً لك، كُنتُ أُراقِبُ الإشارة الضوئية بِنفسي، فكانت ذاتُ وميضٍ أحمر، ومع ذلك قُمت بِتجاوزها.

قال السائق بإصرارٍ شديد:

_ لا. كانت صفراء.

_ كانت حمراء.

_ بل كانت صفراء.

أحس المُحقق بلعون، أنه لا حيلة له، أمام هذا الغبي، والذي لا يُحيد عن رأيه.

قال بلعون:

_ صفراء. صفراء أمرُنا لله.

قال السائق، وهو على وشك أن ينطق:

_ ألا تعلم، يا سيدي.

وتابع السائق:

_ لا أُميزُ بين الألوان، جميعها تصبحُ أمام عيني أصفر باهتاً.

_ جميع الألوان الأخرى من حولك تتحد في لون واحد.

_ نعم، جميعها.

تابع السائق:

ـ حتى في فصل الربيع، كُل الزهور والورود تصبح جميعها صفراء.

قال بلعون، بعد تفكير عميق، مُشخِصاً حالته:

ـ لقد عرفتُ مرضك.

سأل السائقُ، مُتلِهفاً:

ـ ما هو مرضي؟

نطق بلعون:

ـ مرضك، أنت لا تعيشُ فصل الربيع في حياتك اليومية.

ـ أنا، لا أُصدق، رُبما تهذي، أيُعقل هذا؟ كيف ذلك؟

ـ وأنت لا تعيشُ الصيف والشتاء أيضاً.

قال السائقُ، غير مُصدِقاً:

ـ لا أُصدق. لا أُصدق. حتى بالرغم من هطول المطر والثلج.

ـ لا بل صدق، حتى بالرغم من رؤية هطول المطر والثلج، أنت لا تمر إلا بِفصل واحد، وهو فصل الخريف، فصل تساقط الأوراق الصفراء، فاللون الأصفر الأوحد يُطغى على كُل الألوان، ويلغي جمال وبهجة جميع الألوان الأخرى لديك.

ـ أيُ مُصيبة، أي داء أُصبتُ به.

ـ داءُ رياح الفكر الأوحد.

ـ وما هو الفكر الأوحد هذا؟

قال بلعون:

ـ وهل تفهم في أزمات ومشاكل السكن، والمعيشة، وغلاء الأسعار.

ـ كلا.

ـ إذن أنت لا تفهم أبداً ما يدور من حولك.

تابع بلعون:

ـ أعرف أن أصحاب الفكر الأوحد يتساقطون، كما تتساقط الأوراق الصفراء في فصل الخريف، مع العلم أكره الخوض في هذا المجال.

وما أن وصل مُساعد المحقق المستقل، إلى باب المزرعة التي كان ينشدها من أجل الاستفسار، بِشأن من هي صاحبة الصورة، ضرب بِرأس عكازته الجديدة على الباب الحديدي الكبير، حتى هرع إليه في الحال المصور المحترف عادل إبراهيم، فاتِحاً له الباب، وابتسامة ترحيبٍ حارة لا تفارق وجهه الحنطي الناعم، ذو الشعر الأبيض، والطول المتوسط، لم يكن المحقق العجوز يعرفه سابقاً، ولكن المصور قد أكد له أنه يعرفه من قبل، ورحب به، ليدخل معه إلى المزرعة، وهكذا تم اللقاء مع المصور، ولكنهما ظلا واقِفين.

سأل المحقق بلعون:

ـ هل هذه مزرعة المصور عادل إبراهيم؟

ـ نعم.

ـ أين هو؟

_ أنا هو.

استمر مُستفسراً بالحديث:

_ الظاهر إنك تهتم كثيراً بالأشجار.

_ يمكن القول إلى حد الهوس. وتابع. الأشجار مثل الأطفال الصِغار دائماً بِحاجة ماسة للرعاية والاهتمام.

وتقدما أكثر نحو البناء المُشيد ذي الطابقين، ودعا إبراهيم ضيفه، بِأن يتبعه إلى الداخل، ليقوم بِواجبه الأكمل كمُضيف، كما يقوم بِتكريم جميع الزائرين لديه في المزرعة، لكن بلعون رفض دعوته، وذلك بِحجة أن لديه عملاً مستعجلاً ينتظره فيما بعد، وإنه جاء خصيصاً بِغرض السؤال فقط، فظلا مُتسمرين أمام المسبح بِجانب البناء، وقام المصور البشوش، بِفتح صنبور المسبح لِسقاية وري الأشجار المتنوعة بالتنقيط.

سأل المُحقق بلعون:

_ هل ما زلت تُمارس مهنة التصوير؟

_ لقد اعتزلتُ مهنة التصوير منذ مدة طويلة.

سأل بلعون:

ـ ماذا تعمل الآن؟

ـ بالوقت الحالي مُتعهد بِناء.

تنهد المحقق العجوز، عندما سمع بِمهنته الجديدة، تأكد أن المصور لن يتعرف إلى صاحبة الصورة، التي كانت بِحوزته، وفكر أن المجهود الذي قام في سبيله في هذه الزيارة، ذهب بِلا فائدة أدراج الرياح، ثُم خرج عن صمته.

سأل المُحقق بلعون:

ـ هل بإمكاني أن اسألك سؤالاً؟

ـ اسأل كما تشاء.

ـ ولكن سؤالي مُتعلق بِمهنة التصوير التي تركتها.

ـ تفضل. لا يهم.

أخرج بلعون صورةً من جيبه، ولكنه لم يضعها بين يدي المصور إبراهيم، فاكتفى بِأن يراها.

سأل المحقق بلعون:

ـ هل تعرف صاحبة الصورة هذه؟

قال المصور القديم إبراهيم:

ـ كلا. لا أعرفها، وحتى إن كنت أنا الذي أخذتُ لها الصورة، فذاكرتي ما كادت تُسعفني للتعرف على صاحِبتها.

وتابع المصور:

ـ لأنني لا أُخفي عليك، لقد التقطتُ آلاف الصور في الحفلات الجماعية، خلال مدة عملي بِمهنة التصوير.

أصر المحقق بلعون عليه أن يعصر ذهنه للتذكر:

ـ حاول أن تتذكر.

ـ قُلتُ لك من المستحيل أن أتذكر.

وبعد فترة وجيزة من الصمت.

قال المصور عادل إبراهيم:

ـ يُمكنني أن أخدمك في حالة واحدة، وبشيء وحيد، إن الصورة تعود إلى زمن بعيد.

ـ أشكرك جداً على هذه المعلومة، وحسن الاستقبال، ولن أنسى فضلك هذا.

أصر المصور إبراهيم:

ـ ألا تجلس على الأقل لتتناول شيئاً.

ـ لا. صدقني لأنني في عجلة من أمري.

ورافق إبراهيم المحقق العجوز وقد اتكأ على عكازته الجديدة حتى الباب الرئيسي للمزرعة.

سأل بلعون قبل أن يُغادر المكان:

ـ لقد رأيتُ خلال الطريق عدداً وفيراً من المزارع في المنطقة.

ـ إنها تغيرات حصلت مؤخراً.

ـ ألا يؤثر ذلك على التقليل من مساحة الأرضي المزروعة بالمحاصيل المختلفة.

ـ لا. أدري عواقبها، ولكنني أرى أنها تعطي المنطقة جمالاً خاصاً ووجهاً مُميزاً، بِهذه الخضرة الدائمة والهواء النقي، وخاصةً تلك الفلل والبنايات ذات الطراز الحديث.

قال بلعون، خاتِماً زيارته السريعة:

ـ أشكرك على حُسن الاستقبال.

ـ وأنا أيضاً مسرورٌ بِلقائك.

عند الوداع كان السائق ينتظر واقفاً أمام باب المزرعة، على أمل أن يعود به أحد الأشخاص إلى وسط البلد، وعاد بلعون معه إلى وسط البلدة، ليتابع تحقيقاته وحيداً، حتى عودة المحقق المستقل آدم بريسكو من الخارج، من ذلك البلد الذي استعان بِخدماته، في التحقيق بِقضية غامضة ومعقدة جداً.

– 4 –

كانت عودة آدم بريسكو إلى مدينة القامشلي تصادف يوم الثلاثاء، لقد طرأ تغير كبير على عمله هذه المرة، كان سابقاً يُحقق في الجرائم بِشكل مستقل، دون أخذ الأجرة والمال من أصحاب القضايا الذين كانوا يأتون إليه في طلب المعونة والمُساعدة، أما بهذه المهمة الخارجية التي كلف بها، فقد أخذ مبلغاً مالياً ضخماً، بعد أن تم الكشف عن المجرمين والجناة، الذين ارتكبوا هذه الجريمة بِحق الجهات المسؤولة بالبلد، والتي عجزت فيها الجهات الأمنية القبض على الهاربين من قبضة العدالة، وقد حلها التحري خلال مدة أقل من شهر تقريباً، فلما وصل إلى أرض الوطن، لم يذهب إلى أي مكان، أو حتى مُجرد الاتصال بأحد أصدقائه، أو أقربائه المُقربين، فتوجه من فوره إلى غرفة الصفيح، كان مقره الدائم، العش المتوج فوق سطح بناية واقعة على طريق الحزام الغربي بِحي الهلالية، وأن التغيير طال حتى حالته النفسية، حيثُ بلغ منه مبلغاً لا بأس به من الأثر، بينما كان من قبل يُمارس الحب الإلكتروني يدفعه إليه خياله العاطفي الجامح، وهي عادة اكتسبها، منذ أن كان بِعمرٍ صغير، من كثرة ما كان يُتابع نشرات الأخبار على التلفاز، ومع المشاهدة شبه اليومية، وقع الشاب

المراهق، أسير حب مذيعة الأخبار الجميلة، ثُم تطورت الأحداث بوتيرة مُتسارعة، فأثرت على حالته النفسية، سرعان ما أصبحت حالة حبه عمومية، تجاوزت مُذيعة الأخبار ليشمل ممثلات ومطربات الشاشة الجميلات، ومع مُضي الأيام والسنوات، أصبح الشاب الناشئ لا يُطيق التعامل مع الجنس اللطيف، كان يفر من أمامهم، يبدو أن هذه القضية التي جاءته من خارج البلد، أو ربما تقدمه في السن، قد فترت لديه عزيمة الحب والعاطفة الإلكترونية، ولكن بالرغم من ذلك كله، كان المحامي آدم بريسكو، يملكُ خيالاً خصباً، وكان يفكر في كل شيء يُصادفه في الطريق، ثُم يقارن مصير ذلك بالماضي الذي مرَّ عليه، مع مصير ذلك الشيء في المستقبل القريب، لقد قضى ليلته الأولى بِغرفة السطوح فوق البناية العالية، وصمم ألا يركب شريحة هاتفه الخليوي، ليجعل من حضوره غداً مفاجأة لرفيق دربه بلعون، والذي يذهب بِشكل شبه يومي إلى حانة الضفادع المموهة، و تربطه نوع من صلة قرابة مع زوجته المتوفاة، وكان يلقب بالقط العجوز، لأنه كُلما تقدم بالعمر، انكمش حجمه، وخف وزنه، وعندما خرج بريسكو صباح اليوم التالي، من غرفته التي يسكنها فوق السطوح العالية، حيثُ لاحظ حركةً مرورية كثيفة أمامه في

الشارع الذي كان يسلكه، حملته مخروط ذكريات الماضي بعيداً ليلتحم في دوامة مخروطية مع أفكار يقظته الحالية عن المستقبل القادم، كان جده فيما مضى يأتي من القرية راجلاً بِجانب حماره الذي يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً، ليقارن هذا المشهد الذي استدعاه من الماضي مع لحظته التي كان يُعايشها وهو يسير على الرصيف، بهذه السيارات الحديثة ذات الموديلات الفخمة، وكان يتعمق أكثر بِفكره وخياله الخصب ليغوص في عمق الأشياء، وبِما ستؤول إليه الأوضاع والأحدث، عندما يموت بعد عدة سنوات قادمة من الآن، فالأجيال القادمة سيشهدون تطوراً مُذهلا، وستكون مصير هذه السيارات التي يشاهدها الآن وهي تسيرُ على الأرض، حتماً ستطير في السماء على غرار باقي الطائرات والطيور، وستنتقل الطرق والشوارع المتعددة، من الأرض إلى المكان الجديد في السماء الشاسعة، ومن مكانه على الأرض، أثناء فترة حلول الليل، ستزداد وتُكثر بريق العديد من الأضواء الجديدة، وهي تلمع في سماء الليل البهيم، فتغطي بِذلك على أضواء النجوم المتلألئة وجمال أضوائها البراقة، فأين الثرى من الثريا، أما بالنسبة لمحطات المحروقات والمباني السكنية، ستتحول حتماً إلى منازل إلكترونية تعوم في الفضاء، كما مثل العديد من

المركبات الفضائية والأقمار الاصطناعية، وظل فكره وخياله مُتقداً حتى وجد نفسه، يصِلُ إلى باب حانة الضفادع المموهة، وما أن دلف إلى الحانة، كان بوسعه أن يرى بلعون مولياً ظهره نحو الباب الرئيسي، فتقدم منه بِهدوء على رأس أصابعه، إلى أن وصل إليه، وقام بتعصيب عينيه من الخلف، ولكن العجوز بدا جامِداً لا يبدي حِراكاً، لأنه في حياته كُلها، ما من أحد تجرأ أن يمزح معه بهذا الشكل المريب، وحتى نادل الحانة والمدير، لا يمكنهم فعل هذا العمل معه، ولكن الأمر لم يدم كثيراً على تلك الحالة، وفك التحري يديه عن عيني القط العجوز، ثُم غير من وضعية مكان وقوفه، والتفت على الطاولة ليواجه بلعون المحقق الأصلع آدم بريسكو، فكاد يطير فرحاً لمرآه.

قال بلعون غير مُصدقاً:

_ لا أُصدق أيها المحقق الأصلع.

_ لماذا لا تُصدق، ها أنا؟

_ لأنني بحثتُ عنك طويلاً، وسألتُ كثيراً فلم أهتدي إلى مكان وجودك.

وتابع بلعون:

ـ وحتى رقم تلفونك كان خارج التغطية أليس هذا صحيحاً؟

ـ هذا صحيح.

أدرك المحامي بريسكو شيئاً غير طبيعيا في حركات صديقه.

قال التحري:

ـ وعرفت أنني خارج البلد.

ـ بالضبط.

ـ ومُكلف بِمهمة.

ـ نعم.

ـ والآن كيف الحال؟

ـ لستُ على ما يرام.

سأل بريسكو:

ـ خيراً ماذا حصل؟

ـ دونك لا يمكن أن يتم العمل أو التحرك قيد أنملة.

ـ والآن ماذا ترى؟

ـ الآن يمكننا أن نتحرك ونعمل سوياً.

ـ ألا تُبالغ في ذلك.

ـ بل قلت الأقل في حقك.

ـ شكراً جزيلاً إذن لك.

ارتاح الصديقان في جلستهما معاً، بعد أن افترقا لفترة لا بأس من الوقت، عل طاولة المحقق الثاني بلعون، ثُم أشار إلى النادل، الذي جاء عل عجل واقفاً باستعداد.

قال بلعون، مُبتهجاً بِلقاء صديقه المفاجئ:

ـ بيرا مكسيكي، على شرف المحقق العبقري آدم بريسكو.

وتابع:

ـ ولي الشاي.

تدخل بريسكو، قبل أن يذهب النادل:

ـ ولي أيضا الشاي.

سأل بلعون، وقد أصابته الصدمة:

ـ وهل أقلعت عن شرب البيرا؟

ـ نعم.

ـ منذ متى؟

ـ بعد ما انتهيتُ، من حل المهمة الخارجية.

قال بلعون:

ـ كما ترى أيها الأصلع، فأنا مثلك أقلعتُ عن شرب البيرا، وتعاطي مادة الحشيش المخدر.

وتابع:

ـ غصباً عني، لأن الطبيب حذرني مراراً وتكراراً، إذا لم أُقلع عنهما، مؤكداً موعد موتي العاجل، وبين أن السبب الأساسي هو التقدم في العمر.

قال المحامي بريسكو، ليُطيبَ خاطره:

ـ لقد تعادلنا، أيها القط العجوز.

ـ نعم لقد تساوينا، وتعادلنا بالفعل.

انتبه بلعون على وجود النادل بالقرب منهم، كان رابِطاً فوق رأسهم كصنم أبي الهول الرابط على رأس رِمال الصحراء.

قال بلعون:

ـ من فضلك، كأسين من الشاي الأسود الثقيل.

ثُم تابع:

ـ وبِسرعة، إذا أمكن.

ما إن غادرهم النادل، حتى بدء الحديث مع المحقق العبقري المستقل.

سأل بلعون:

ـ ما هذا التغيير الذي أصابك فجأةً؟

ـ صدقني أنا أيضاً، لا أصدق نفسي عندما أفكر وأتأمل في ذلك، لأنني لا حظتُ التغيير عندما انتهيت من حل ذلك اللغز المعقد.

ـ ألم تكتشف سبب التغيير الجوهري.

ـ بالطبع.

ـ ما هو، أيها الأصلع؟

ـ دون لف، أو دوران.

ـ هذا ما أسعى إليه.

ـ خُذ السبب.

ـ هات.

ـ السبب هو المال، هو الأجرة مقابل التحقيقات المستقلة، قبضتها من أعلى الجهات المسؤولة هناك.

قال بلعون، وهو يبلع ريقه بِصعوبة:

ـ أهو كان مبلغٌ ضخم لهذه الدرجة؟

ـ فوق ما تتصوره.

ـ يعني تقريباً.

قال المحقق بريسكو:

ـ مليون دولار.

صفَّر بلعون مُتعجباً، وكأن غصةً خنقته، سأل:

ـ مليون دولار.

ـ نعم، وأنا أيضاً مصدوم.

أخذ بلعون رشفةً من الشاي الأسود البارد وسأل مُجدداً:

ـ لماذا قبلت المال، مع العلم أننا اتفقنا منذُ البداية، عندما عملنا معاً سابقاً بِمُطاردة المجرمين والقتلة، عدم أخذ المال من أهالي الضحايا اللذين نعملُ لِصالحهم، وإذ أخذناها منهم، تحت الإلحاح والإصرار الشديد، يجب أن يكون مبلغاً رمزياً عندها.

ـ وأنا ملتزم بالاتفاق، الذي تم بيننا في أول قضية حققنا فيها، لكن المسؤولين بالخارج، أصروا على المُكافأة المالية، تقديراً على الجهود الجبارة والبراعة التي أبديتها بالكشف عن الجُناة، وقالوا لي إنه لا يمكنك الرفض أو الاستغناء عن المال، فهذا ينتقص من قيمهم وشيمهم العالية، فماذا تراني بِفاعل أيها القط العجوز؟

سأل بلعون:

ـ وهل، هي معك الآن؟

ـ ليست معي.

ـ أين المليون دولار.

ـ لقد تبرعتُ بالمليون.

قال بلعون، كمن لدغته عقرب على قفاه:

ـ لِمن؟

ـ لِكل منكوب من كوارث الطبيعة، وكل نازح من أهوال الحروب، وذوي الاحتياجات الخاصة، وأخيراً جميع الأمراض المزمنة.

قال بلعون:

ـ لماذا لا تزرع شعرك الأصلع؟

ـ من أين؟

قال بريسكو:

ـ الصلعة تعني الهيبة والوقار، بالنسبة لي، ولا تنسَ أنني مُميز ومشهور بصلعة رأسي.

ضحك بلعون قائلاً:

ـ بالتأكيد، يا حاتم الطائي.

ردَّ عليه التحري:

ـ دعنا من سُعار النقود، ماذا لديك من أخبار عاجلة، وقضايا ساخنة؟

قال بلعون:

ـ قبل عدة أيام، وأنا جالس على نفس الطاولة التي نجلسُ عليها الآن، وبعد مناقشة عقيمة مع النادل، بِشأن جريمة قتل، حدثت في الحي الذي يقطنهُ، وبعد أن أصغيتُ إليه كثيراً، ظناً مني أنه لم يكتشف عن مرتكبي حادثة القتل، ولكن كان العكس هو الصحيح، فقد قبضوا عليهم بعد ساعات قليلة، لذا ارتفع ضغطي، وجف حلقي غيظاً وغضباً على النادل الغبي.

وتابع بلعون:

ـ فقد أردتُ أن أُسعف نفسي بِشرب كأس من الماء البارد، من هذا الأبريق الموجود أمامنا، وما إن رفعته إلى الأعلى، حتى وجدت تحتهُ صورة قديمة عائدة لامرأة.

ـ هل هي معك؟

ـ كلا.

ـ ماذا فعلت بِها؟

ـ أحتفِظُ بها في غرفتي بالفندق.

ـ وهل الصورة بأمان؟

ـ نعم، بأمان.

ـ ما الذي عرفته عنها؟

ـ حاولتُ جاهداً، أن أتعرف عليها، وعلى الرغم من أنني استعنتُ بِجهود صديقنا السائق مهران عبده، بِفريق تحقيقاتنا المستقلة، والذي أرشدني إلى مصور قديم، كان يعرفه سابقاً، فذهبتُ إليه، ولكنه لم يتعرف على صاحبة الصورة، فُعدتُ خائباً دون معرفة أي شيء عنها، سوى أن الصورة قديمة.

قال بريسكو:

ـ اطمئن أيها القط العجوز، لا شيء في هذه الحياة يصعب على المحقق المستقل آدم بريسكو.

ـ أعرف ذلك.

ـ اجلبها معك غداً في مثل هذا الوقت، وسنرى ما يجب فعلهُ حينها.

أومأ بلعون برأسه، وتهللت أسارير وجهه المُتغضن الجاف بهجةً وسروراً.

ـ غداً بِكل سرور، وأنا واثق، أنك ستجد لها حلاً.

وقبل أن يغادر.

قال بريسكو:

ـ بالمناسبة كيف حال عبده؟

ـ تمام.

ـ وهل سيشترك معنا في التحقيقات الجديدة؟

ـ إنه مشغول بقضية طلاق في هذه الأيام.

ـ لا يهم.

-5-

عندما أحضر بلعون معه الصورة، في صباح اليوم التالي، ودلف نشِطاً إلى حانة الضفادع المموهة، فقد صُدِمَ برؤية صديقه المحقق المستقل آدم بريسكو، وقد جاء قبله يجلسُ على نفس مكانه الاعتيادي، وهو يتصفحُ جريدة قامشلي جليد، وما أن تقدم منه حتى التقط منه الصورة الغنيمة، وقام بوضع الجريدة جانِباً.

علق بريسكو قائلاً:

ـ أيها القط العجوز، الحياة تُشبه البحر تماماً، فحاول أن تُجهز نفسك جيداً، وتأخذ معي نفساً عميقاً، لنغوص معاً في جولة طويلة إلى القاع الأسود، حيثُ الاعماق السحيقة.

ردَّ عليه بلعون:

ـ والأقل نَفَساً وقوة على التحمل، سيخرج أولاً إلى السطح، خاسراً الرهان، أليس هذا صحيحاً يا أصلع؟

ـ بالطبع.

ـ دعنا نُجرب ذلك على أهل الحانة.

ـ هيا نجرب.

وقبل البدء بِمناقشة من الذي أوصل الصورة إليهم، شق التحري طريقه عبر الطاولات الفارغة، إلى مدير الحانة، ليُخبره كي لا يقترب النادل منهما، فوافق على مضض، وبِكُل رحابة صدر، ثُم عاد سريعاً ليناقش تفاصيل الصورة مع مساعده في التحقيقات المستقلة، وبدأ التحري الداهية يتأمل صورة المرأة الشابة بِتفكرٍ عميق، وكان يتفحصها بِطريقة عالم التشريح، الذي يضعُ شريحته تحت المجهر الإلكتروني، لاكتشاف الفيروسات والبكتريا والجراثيم، وكيف تتحرك تحت العدسة المُكبِرة، وما أن انتهى من ذلك، حتى قام بِقلب الصور ليرى نتيجة اللغز والغموض الذي يلفها، ونظر خلفها، فأحس أيضاً، بِصدمة مُضاعفة، ووضع أخيراً الصورة على الطاولة، ليستعد للمناقشة.

سأل بلعون:

ـ هل عرفت شيئاً عن صاحبة الصورة؟

ـ تمهل أيها القط العجوز، الأمر ليس بهذه السهولة والبساطة، كما تتصوره، وعلينا أن نبدأ العمل بِشكل منهجي.

ـ كيف؟

ـ بِبساطة أول عمل، يجب علينا، أن نبدأ بِجمع الأدلة الصغيرة، وبرأيي إن الأدلة الصغيرة، والبسيطة، هي التي توصل أبرع المحققين البارعين في العالم، لحل اللغز مهما كان مُعقداً.

سأل بلعون:

ـ وما هي الأدلة الصغيرة التي يجب أن نتبعها؟

ـ سؤال منطقي جداً، يجب أن نحدد أولاً كما قُلتُ لك، معرفة هوية جالب الصورة.

ـ تقصد الهوية، إن كان رجُلاً أو امرأة، أليس كذلك؟

ـ هذا ما أُحاولُ أن أصل إليه بالبداية.

ـ وبِرأيك هل هو الرجل الذي أحضر الصورة إلي؟

ـ هذا احتمال وارد وكبير.

جدد بلعون السؤال:

ـ وتستبعد أن تكون المرأة هي التي قامت بِهذا العمل.

ـ حتى لا يمكن استبعادها.

قال بلعون:

ـ شيء مُحير يا بريسكو، فأنت لم تُسقط طرفاً من حساباتك حتى الآن، هل أنا مُخطئ؟

ـ أنت لم تُخطئ، في هذا الوقت الذي نحنُ فيه، لا يمكننا أن نُلغي طرفاً منهما، إلا بعد أن نصل إلى تأكيد من قِبل شاهد، بِحيث تُدعم فرضيتنا.

سأل بلعون:

ـ أمن المعقول أن تكون المرأة الشابة في الصورة هي التي أوصلت إلينا الصورة؟

ردَّ التحري بريسكو:

ـ قد لا تكون شابة، ألا تلاحظ معي أن الصورة عتيقة جداً، فربما الآن أصبحت طاعنة في السن، وقد تكون هي التي قامت بتوصيل الصورة إليك باعتبارك معروفاً في المنطقة، تهتم بِهذه القضايا وتساعد أهل الضحايا مجاناً بِدون مُقابل مادي، أو أخذ أجر بسيط منهم، ونقوم

بِمُساعدة السلطات لِكي تقدم المجرمين إلى قبضة العدالة، ليتم مُحاكمتهم مُحاكمة عادلة.

ـ وقد تكون صاحبة الصورة ماتت منذ زمن بعيد جداً.

ـ هذا جائز.

قال بلعون نافذ الصبر:

ـ الغموض يُحاصرنا، فكلما خُضنا في التفاصيل أكثر، تصدنا حائط تلو الأخر، فكيف لنا أن نتخطى تلك الحيطان الكثيرة؟

هذه المرة ألقى بريسكو بالسؤال على مساعده:

ـ هل تريد أن نكشف عن هوية جالب الصورة في هذه الجلسة؟

ـ أتمنى ذلك، وأنا مُتأكد إنك بِقادر على حل أعقد لغز، وخاصة لا يمكن التقليل من قدرتك بعد تلك المهمة الخارجية، ماذا عليَّ أن أفعل؟

ـ ما عليك سوى أن تستدعي مُدير الحانة، ليحضر هو إلينا، ونسأله عدة أسئلة، فهل أنت مستعد لهذه المهمة؟

ـ دائماً أنا مستعد.

مضى إليه في الحال، وبعد لحظات قليلة، جاء بلعون، بِوزنه الضئيل يستند على عُكازه، ويتبعه مُدير الحانة نحو الطاولة التي كانوا يجلسون عليها دائماً، فقام المحقق العبقري على عجل، ومد يده مُصافحاً المدير، وجلس الثلاثةُ معاً.

قال بلعون:

ـ صديقي آدم بريسكو محقق مستقل، يريد أن يسألك بعض الأسئلة، فهل أنت مستعد أن تُجاوب على أسئلته؟

قال المُدير، دون اعتراض أو تذمر:

ـ تفضل يا سيدي.

سأل التحري:

ـ متى يفتح باب الحانة، أقصد في أي ساعة؟

ـ في تمام الساعة السابعة صباحاً.

ـ أأنت الذي تقوم بِذلك؟

ـلا.

ـ من الذي يقوم بِهذه المهمة؟

ـ لدينا عامل تنظيف وحيد، فهو الذي يقوم بِذلك يومياً.

ـ وأنت متى تأتي إلى الحانة؟

ـ ليس لدي وقت مُحدد ألتزِمُ به.

ـ كم عدد العمال الذين يعملون في الحانة؟

ـ ليس الكثير، يمكن أن تقول، نحن ثلاثة أشخاص نعمل في الحانة، أنا والنادل، وعامل التنظيف فقط.

ـ ألا يوجد عامل بِنصف دوام، أقصد إذا مرض، أو غاب لسبب ما، فقط ليسد مكانه في العمل؟

ـ لا. لا يوجد أحد غيرنا.

هذا ما سهل من عملية التحقيق، فمن الشائع كُلما كان عدد الشهود قليلاً، سينتهي التحقيق سريعاً، أما إذا كان عدد الشهود كثيراً فستطول مدة التحقيقات، وستتضارب الآراء، وسيكون الوصول إلى نتيجة صعباً جداً في وقتٍ قصير، وكان المحقق المساعد بلعون، على دكة

الاحتياط، لم يتدخل في توجيه الأسئلة، وهو يستمع بِرِضى وراحةٍ تامة إلى التحري بريسكو، الذي كان يُمطِرُ المُدير بِسؤالٍ تلو الآخر.

سأل التحري بريسكو المدير الذي بدا غير مضطرب، أو ظهر عليه أدنى نوع من أنواع القلق والارتباك:

ـ أين كنت يوم السبت الفائت؟

ـ يوم السبت كنتُ في الحانة؟

ـ أي ساعة بالتحديد؟

ـ في الحادية عشرة والنصف كنتُ هنا.

سأل التحري:

ـ هل لاحظتَ حركة غير اعتيادية في الحانة؟

ـ مثل ماذا؟

ـ يعني أن وجهاً غريباً لرجل أو امرأة جاءت إلى الحانة، وحتى أكون أكثر تحديداً زبون جديد.

ـ كلا لم يرتاد الحانة زبائن جدد خلال هذا الشهر كله.

لحظة استراحة.

سأل المُدير:

ـ هل هناك شيء خطير يا سيد بريسكو؟

ـ اطمئن، لا يوجد شيء خطير، إنما نحن بَصدد طرح بعض الأسئلة الروتينية، ولترتاح أكثر أنا والسيد بلعون فريق تحقيق مستقل، ويمكنك أن ترفض التعاون معنا، إذا رغبت بِذلك.

ردَّ عليه المُدير بِهدوء:

ـ لا، أنا في الخدمة، أيها التحري العظيم.

وقبل أن يمد المحقق يده مُصافحاً المُدير، من أجل أن يشكره على حضوره، ويمتدحه على حسن تعامله السلس، وتعاونه اللطيف مع فريق التحقيقات المستقلة.

أخبر بريسكو المُدير:

ـ لي طلبٌ عندك يا سيدي المُدير.

ـ قُل، ما هو؟

_ أن نسأل النادل بعض الأسئلة؟

_ لك ما تريد.

انسحب المُدير المحنك، والدبلوماسي الخطير، فوراً، ليبقى المُحققان المستقلان وحدهما، بعد الاستماع إلى أقوال أول شخص، دون أن يتبين، أي أثر يدل على هوية جالب الصورة، وكان التحري ممتلئاً بالشك فور إنهاء المقابلة مع المُدير، عكس رأي معاونه الذي بدا سعيداً بِشهادته الواضحة والصريحة.

وأعقب بلعون على ما أدلى به المُدير من أقوال:

_ إن الرجل كان مُتجاوباً جداً، وذكر كل ما عنده، وبِصراحة.

_ أهذا ما تعتقد.

_ نعم، أعتقد أن المدير لم يخفِ ما لديه.

_ أنا أخالفك الرأي.

_ كيف ذلك، والرجل أبدى كل مرونة في الرد على جميع الأسئلة؟

ـ ولهذا أشكُ في هدوئه وعدم توتره، أو انفعاله، خاصة المرونة الكاملة في التحقيقات، وسترى صدق ما أقوله لك الآن، وسلامة حكمي عليه من خلال هذه الجلسة، بأنه كذابٌ ومنافق من الطراز الأول، وأخفى عنا السر.

سأل بلعون غير مُصدق أبداً:

ـ لماذا يكذب المُدير علينا؟ وما مصلحته في ذلك؟

ـ دعني أقول لك بِصراحة، إن شقي السؤال له نفس الجواب، لقد كان يعرف هوية الذي أحضر لك الصورة، أما بِشأن مسألة لماذا كان خوفه كان ذلك على سمعة المحل، أما بِشأن مصلحته في التضليل فهو الخوف على مصدر رزقه الوحيد المتمثل بهذه الحانة التي نجلس فيها.

ـ أنت تتمادى في خيالك الخصب، وتذهب بِتحليلاتك المنطقية بعيداً عن الواقع، يا بريسكو العبقري، لأنني على علاقة طيبة بالمُدير منذ سنوات عديدة، فهو فاضل ونبيل وشهم، وذو أخلاق عالية.

ردَّ التحري بريسكو:

ـ كُل هذا لا يُسقط الشبهات عنه، ثُم دعنا ننتهي من التحقيقات مع النادل والعامل، وسترى النتيجة النهائية بنفسك.

ـ والآن؟

ـ دع النادل يحضر، لنأخُذ أقواله.

ـ حالاً.

جاء النادل شاحب الوجه، وهو يتبع المحقق المساعد، ثُم جلسوا معاً. وهذه المرة بدأ بلعون باستلام النادل المذعور.

طرح عليه السؤال الأول:

ـ في أية ساعة تأتي إلى الحانة؟

ـ تقريباً في الثامنة والربع، وأحياناً أتأخر حتى الثامنة والنصف.

ـ هل لاحظت في يوم السبت الفائت، وجهاً غريباً مرَّ عليك، وأنت تُقدم الخدمات للزبائن؟

بلع النادل الخائف ريقه بِصعوبة فقال:

ـ لا، لم أُلاحظ وجهاً غريباً، خلال هذا الشهر كله.

كان النادل خائفاً.

فقال بلعون ليهدئ من روع النادل الخائف:

ـ لا تخف يا رجل، لن نقبض عليك، ولن نضعك في السجن، إنه أمر بسيط جداً، ولسنا ضباط شرطة، نحنُ فريق تحقيق مدني مستقل.

ـ ليس عندي شيء آخر أقوله يا سيدي.

قاطعهم التحري:

ـ شكراً لك أيها النادل على حسن تعاونك.

قال بلعون:

ـ لماذا؟

ردَّ عليه التحري بريسكو:

ـ فليذهب أيها القط العجوز، ولكن بالمناسبة دعه يُرسل لنا بِعامل التنظيف.

قال النادل:

ـ في الحال يا سيد بريسكو.

غادرهم النادل المسكين، وكأن حمل جبلٍ ثقيل، كان جاثماً على صدره، وانزاح عنه.

سأل بلعون:

_ لماذا تركت النادل يذهب دون أن نكمل الأسئلة؟

قال التحري المستقل بريسكو:

_ لقد أخبرنا بِكُل ما عنده، ولم يخفِ شيئاً.

_ كيف عرفت؟

_ من العصفورة.

_ أنت تستهزئ طبعاً.

_ لقد عرفتُ من الخوف الشديد الذي ظهر عليه.

_ إذن.

_ دعنا لا نُناقش هذا الأمر، ولنتمهل حتى يأتي دور عامل التنظيف.

_ تمام لِنؤجل ذلك.

ما إن ظهر عامل التنظيف بِهيئته الشبحية، ورأسه الصغير كرأس عصفور الدوري، يتقدم نحوهم بِحركات خرقاء.

قال بريسكو لِمُساعده بلعون:

_ هذا صيدٌ سهل.

_ كيف؟

_ أنا الذي سأتدبرُ أمره.

_ لماذا؟

_ أراه صيداً سهلاً وثميناً جداً، وأُريدُ أن ألعب معه قليلاً.

قال بلعون:

_ بأية طريقة تريد أن تلعب معه.

_ التحايل.

_ انتحال شخصية الشرطة.

_ نعم، ما عليك أن تستمع وتُراقب من كثب، حتى أنتهي من طرح الأسئلة عليه.

لم يتبقَ أمام بلعون أن يسكت ويتفرج فقط، وعدم التدخل.

وبِجلسة عامل التنظيف.

قال بريسكو للعامل:

ـ أنا محقق من الأمن الجنائي.

ثُم أشار إلى بلعون الصامت:

ـ وهذا صديقي المُساعد من الأمن الجنائي، نحن من نفس الفرع.

لم يصدق مساعد المحقق، أن يلجأ صديقه التحري إلى المكر والخديعة، لكي يعترف العامل، بما رآه يوم السبت الفائت، وهذه كانت أول مرة يستخدم هذا الأسلوب الملتوي مع الأشخاص الذين يُحقق معهم، ولكن التحري، لم يُشفَ غليله بعد، فكان سؤاله الأول من العيار الثقيل، كطلقة المدفعية ذات دويٍ عال، كاد أن يقصم ظهر العامل ذي الرأس الصغير.

سأل التحري:

ـ حدثت جريمة قتل مروعة، قبل يومين أو ثلاثة، أو يمكن أكثر من ذلك بيوم عندكم في الحانة، هل كنت موجوداً، وقت حدوثها؟

ردَّ العامل وقد زاد ارتعاشه:

ـ جريمة قتل.

ـ نعم جريمة قتل.

ـ متى؟

ـ يوم السبت الفائت.

ـ لم أرَ أية جريمة وقعت في الحانة.

تدخل بلعون مُقاطِعاً الحديث:

ـ عليك أن تعترف بالحقيقة، وإلا فسيكون مصيرك السجن وراء القضبان.

أجاب العامل ذو الرأس العصفور باضطرابٍ شديد:

ـ والله العظيم، سأقول كل ما رأيت.

سأل المحقق بريسكو:

ـ في أية ساعة بالتحديد تقوم بِفتح باب الحانة؟

ـ في الساعة السابعة صباحاً يا سيدي.

ـ يوم السبت الفائت، هل لاحظت شيئاً غريباً يحصل في الحانة؟

توقف ليستعيد أنفاسهُ المقطوعة.

أجاب عامل التنظيف:

ـ نعم، يا سيدي.

ـ أخبرني بالتفصيل، ماذا رأيت؟

ـأجل.

ـ دون نقصان.

ـ نعم. دون نقصان.

ـ قُل.

ـ سأقولُ كُل ما رأيتُ صباح يوم السبت، أول ما أفتحُ باب الحانة في الصباح الباكر، من عادتي أن أبدأ بتنظيف دورة المياه، وفي الوقت الذي كنتُ مشغولاً بتنظيف المرحاض، كانت الساعةُ تقريباً حوالي السابعة بِعدة دقائق قليلة، وقد سمعتُ أثناء ذلك صوت دقات حذاء نسائي ذي كعبٍ عالٍ، يدقُ على أرضية الحانة، وتركتُ في الحال أدوات التنظيف،

فهرعتُ نحو الصالة، لأرى من هي صاحبة الحذاء ذي الصوت الرنان، إلى أن وصلتُ منتصف الصالة، حتى رأيتُ امرأة شابة على عتبة الباب الرئيسي، تُغادر الحانة وظهرها مولياً لي.

ـ هل حاولت أن تلحق بالمرأة، حتى الشارع لتعرف على الأقل من هي؟ وماذا كانت تُريد؟

ـ لم أفعل ذلك يا سيدي.

ـ لماذا لم تفعل؟

ـ حقيقةً. كنتُ مرعوباً.

ـ ولماذا كنتُ مرعوباً.

ـ لأنه ليس من عادة النساء، أن يرتدن حانتنا، فهذه كانت أول واحدة، تدلف إلى الحانة.

سكت التحري الذي وصل إلى شوط جيد في نزع الاعترافات من عامل التنظيف، وتدخل مساعده ليستلم منه دفة التحقيقات، وتوجيه بعضاً من الأسئلة المتعلقة بهذا الشأن.

ـ هل قُمتَ بإخبار أحدٍ بِذلك؟

ـ نعم.

ـ من.

ـ مُدير الحانة.

ـ عن تلك المرأة ذات الحذاء الكعب العالي، وظهرها موليا ً لك.

ـ نعم.

ـ ماذا قال لك المدير؟

ـ حذرني، ألا أُخبر أحداً بِما رأيتُ.

حان دور التحري بريسكو لطرح الأسئلة:

ـ هل أطلعت النادل على هذه المعلومة؟

ـ كلا. يا سيدي، لأن المُدير حلف ايماناً مُغلظاً، إذا ما قُمتُ بإفشاء هذا السر، اعتبر أنك مطرود.

ـ منذُ متى، وأنت تعمل في حانة الضفادع المموهة؟

ـ أسبوع.

كانت مدة عمل عامل التنظيف قصيرة جداً، لذلك لم يكُن يعرف أن بلعون، كان من رواد الحانة بِشكل يومي، لذا انطلت عليه حيلة التحري المستقل آدم بريسكو.

والذي قال للعامل:

ـ لا تخف لن نقول للمدير، وكُن مطمئناً وآمناً بِشأن إدلائك بِهذه المعلومة لنا.

وبعدها أخرج بلعون محفظة نقوده، فقام بِسحب بعض المال وسلمها إلى عامل التنظيف، كانت بِمثابة مُكافأة، ففرح بِذلك كثيراً.

فقال عامل التنظيف غير مُصدقاً:

ـ شكراً لكما يا سيدي، واستأذن بالانصراف، إذا لم يبقَ هناك أسئلة أخرى، لأنني قُلتُ كُل ما لدي.

ـ اذهب، أنت بأمان.

بِدهاء وعبقرية المحقق بريسكو، عندما استخدم أسلوب المكر والخديعة، في انتزاع ما كان بِحوزة العامل من سرٍ خفي، فقد انسحب دون أن يلتفت من خلفه، وكان غير مُصدقاً، بأنه أُفلِتَ من تُهمة جريمة قتل،

وهو بريء منها براءة الذئب من دم يوسف، وباعتراف عامل التنظيف، فقد تم التعرف على هوية جالب الصورة إلى حانة الضفادع المموهة، والذي أوصلها بِنجاح إلى المحقق المساعد بلعون، ليتولى بِمُتابعة إكمال باقي المُهمة، والقصد هو إلقاء كل شيء على كاهله، كان هذا هو جوهر عمله الأساسي، والذي يسعى جاهداً للقيام باستلام هذه القضايا، ذات الأحداث الغامضة للغاية. وبالتالي صدق بريسكو بِحدسه المرهف، الذي لم يخنهُ مرةً من المرات، وفي الوقت الذي قام بأخذ إفادة شهادة مُدير الحانة، فأخفى عن التحري العبقري، تفصيلٌ مُهمٌ في القضية التي كان يفتشُ عنها، وهي رؤية عامل التنظيف لِتلك المرأة التي أبكرت الحضور في صباح اليوم الفائت إلى حانة الضفادع المموهة، ودلفت إلى الحانة مُعتقدةً قبل الجميع، إلا باستثناء العامل الذي رآها في آخر لحظة من هروبها السريع، وهي مدبرة على عتبة الباب الرئيسي، وبالمحصلة النهائية في حوار التحري مع المُدير، فقد خرج مشكوكاً ومرتاباً بأقواله في التحقيق الذي أجراه معه، وعندما حان دور النادل الوحيد الذي يخدم بين طاولات الحانة، فقد استبعده التحري المستقل حالاً، عن دائرة المشتبهين بهم بسبب الخوف المُثير الذي أبداهُ، وكان مُجمل الأسئلة التي تم توجيهها إليه كانت

مقتضبة، وقبل أن يهم بالمُغادرة، فقد طلب منه أن يستدعى عامل التنظيف، لأخذ إفادته، فوقع المسكين في فِخاخ شبكة الحيلة التي نصبها له التحري الداهية، راسماً خطته بِدقة وإحكام، وأخيراً، اعترف العامل بِما رآه صباح يوم السبت الفائت، وبِمعرفة هذا التفصيل البسيط، عرف فريق التحقيقات المستقلة، إن بداية الخيط، أصبحت في مُتناول يدهم، وعرفوا أن امرأة شابة، هي التي قامت بذلك العمل، وعلى ضوء هذه الوقائع الساطعة، صدق السيد بلعون نظرية صديقه التحري، ولكن العمل لم ينتهِ بعد، فكان هذا جزءاً بسيطاً فقط للوصول إلى حقيقة كاملة، لحل كامل لغز الصورة التي كانت بِحوزتهم، وغادرا المكان بانتهاء التحقيقات لهذا اليوم، وعرفوا أن الأشخاص الثلاثة غير متورطين، لا من قريب، ولا حتى من بعيد، بِوصول الصورة ووضعها تحت إبريق الماء، على طاولة بلعون الدائمة.

– 6 –

شق التحري آدم بريسكو طريقه إلى المكتبة، قبل أن يتوجه نحو الفندق القريب، الذي كان يُقيمُ فيه صاحبه بلعون، مكان إقامته الدائمة، فأراد أن يبتاع له جريدة قامشلي جليد، العدد 1200 ليوم الأحد، بدلاً من أن يأخذ معه بعضاً من الحلويات أو الفواكه، وكان من عادة العجوز أنه ينفر من مُتابعة قنوات الأخبار، وكان كُرهه لها تصِلُ أحياناً إلى أقصى درجات النفور، في الوقت الذي كان يُتابعها التحري، وقد انصب كُل اهتمامه على قراءة صفحة جرائم القتل حصراً، ولا تصلح الجريدة برأيه طبعاً، إلا في مكب النفايات مقرها الأخير، وظل بريسكو يمشي، وكُل تفكيره يرتكزُ على حل لُغز الصورة التي كانت بِحوزته، وهو يقلب الأمور على جميع الأوجه، فلا يرى لها حلاً يلوحُ في الأفق القريب، سوى دليل بسيط أن الذي أوصل الصورة كانت امرأة فقط. وكان يضجُ في رأسه الأصلع أسئلة، لا يعرف حتى الآن الإجابات لها.

ـ من هي؟

ـ وأين هي الآن؟

_ ماذا تُريد؟

في الداخل سلم على مُحاسبة الفندق.

فقام بِسؤالها:

_ هل القط العجوز، موجود بِغُرفته؟

ابتسمت الفتاة الشقراء فقالت:

_ تفضل، إنه موجود.

كانت الفتاة في الخامسة والعشرون من عمرها، نحيفة، طويلة القامة، كُلما رأته تُريد أن تُطيل الحديث مع المحقق الأصلع الوسيم، وهو قوي البنية والعضلات، فكان يهربُ منها، ولا يعطيها المجال للأخذ والرد، في حديثٍ عاطفيٍ خاص، تركها، وارتقى الدرجات إلى الطابق الثاني هرباً من المحاسبة الشابة، وعندما دخل على صديقه بلعون، بدا عليه الانفعال والتوتر، وكان يلهثُ بِشدة.

سأل بلعون الخبير العارف:

_ ماذا جرى لك؟

ـ كالعادة.

ـ هربت منها.

ـ لأنها لا تتركني أمرُ بِسلام.

ـ أمرك غريب، فتاة بِهذا الجمال الرائع، تضع عينها عليك، وتلاحقك بالحديث، ونظرات الإعجاب، وأنت تفرُّ مُدبراً.

ـ أنت تعرف وضعي من الناحية العاطفية.

ـ الانجذاب العاطفي نحو جميلات الشاشة الإلكترونية.

ـ نعم.

ـ ألم تتعافَ بعد.

ـ ألم أقُل لك.

ـ قُلت لي إنك تغيرت، بعد حل قضية الخارج، وقد أُصبت بِفتور عاطفي.

ـ نعم. أنا في آخر مراحل الشِفاء من هذا الداء.

ـ بالمناسبة، هي دائماً تسألني عنك.

ـ دعكَ من ذلك، لقد تزوجت وانتهى الأمر.

ـ من هي صاحبة الحظ السعيد؟

ـ ألا تعرف.

ـ لا.

ـ لقد تزوجتُ من مهنة المحقق والتحري، ونسيتُ شيئاً اسمه المرأة.

ـ أصبحت مثلي.

ـ أصبحتُ مثلك أيها العجوز، مُضرباً عن الزواج.

كان هذا اللقاء في غرفة الفندق مُقرراً لِمُناقشة حل باقي لغز الصورة، بعيداً عن أجواء حانة الضفادع المموهة، والقى التحري الجريدة الورقية، على حافة السرير الوحيد الذي كان يجلس عليه مُساعده وصديقه في نفس الوقت، بينما أخذ التحري مكانه على كُرسيٍ أمام طاولة الكتابة الصغيرة، وقام بِفتح جهاز التلفزيون، وقلب على قناة حدث الاخبارية، ولم يقُم بِرفع الصوت بعد، بينما التقط بلعون الجريدة بِلهفة، وقلب على صفحة جرائم القتل، حيثُ قُتِلَ خمسةُ رِجال من أجل صفعة.

وقد قرأ بِصوت مسموع:

ـ على إثرِ مُشاداتٍ كلامية حادة، نشبت بين زوجٍ وزوجته، عندما استبد به غضبٌ جنوني، فقد السيطرة على نفسه، فوجه إليها صفعةً قوية، وقد تسارعت الأحداث، حتى رمى عليها يمين الطلاق، وتحول إلى خلاف عائلي مرير، وبعد مرور أسبوع على الحادث، قُتل خمسةُ رِجال من أجل صفعة، ثلاثة منهم كانوا أخوة الزوجة المُطلقة، واثنان كانا من أخوة الزوج الغاضب.

علق بلعون:

ـ شيء مؤسف للغاية.

ـ خمسةٌ من الأرواح الضحايا، نتيجة خلاف بسيط، حقاً إنه مؤسف للغاية.

ـ ولكن المعاناة الحقيقة، تبقى بالأولاد اليتامى، كم هو عددهم؟

ـ لا أقل من خمسة عشرة ولداً.

ـ ما السبب الذي، دفع إلى حدوث هذه الجريمة المروعة؟

ـ الأسباب كثيرة ومُتعددة، ولكن هناك سببٌ رئيسي، يطغى على جميع الأسباب الباقية.

سأل بلعون:

ـ ما هو؟

ـ غياب العقل الكُلي.

قال بلعون:

ـ هناك كتابات كثيرة، تُشير، لا تقع عملية قتل على الأرض، وإلا كانت وراءها امرأة، تضعُ الحجة، أو الحجر في يد الرجل، وتدفعه إلى ارتكاب عملية القتل.

ـ أنت تعود أيضاً إلى غياب دور العقل قبل عملية التنفيذ.

وتابع التحري:

ـ المرأة سبب، والفقر سبب، والجهل سبب، والعادات والتقاليد سبب، والأساطير والخُرافات سبب. كلها أجزاء تجتمع تحت سقف مظلة واحدة. ألا وهو، غياب الحكمة والعقل.

سأل بلعون:

ـ من الذي فاز بالنهاية؟

أجاب بريسكو:

ـ لا، أحد.

ـ كيف تقولُ هذا، والنتيجة ثلاثة مُقابل اثنين؟

ـ النتيجة سلبية دائماً، في النهايات المأساوية.

ـ ما هو المهم برأيك؟

قال المحقق المستقل بريسكو:

ـ التحكم بالنفس، والصبر والروية، مفتاح جميع الحلول والمشاكل في الحياة.

وقبل أن يتمكن التحري من رفع صوت قناة الحدث.

سأل بلعون:

ـ إننا وضعنا أنفسنا، موضع الشُبهة والمساءلة القانونية؟

ـ جائز.

ـ بِمن تشك أن يشي بِنا؟

ـ وهل هناك غيره؟

ـ تقصد المُدير.

ـ نعم.

لم يُكمل العجوز، ما الذي سيشربه التحري، حتى دق جرس الخدمة الداخلية، فأخبر فيها السيد بلعون، إن لديه زائراً في الطابق السفلي يسألُ عنه، مع إعطائه الأوصاف، قصير القامة، أسود الوجه، دون ذكر اسمه، وكان صوت جهاز الانترفون مسموعاً في الغرفة.

فقال التحري:

ـ إنه نذير الشؤم، هذا ما توقعته، ولكن لا تخف، يمكننا أن نستفيد منه، في الأيام اللاحقة.

سأل بلعون:

ـ إنه.

ـ إنه، المُساعد أبو حشيش.

_ كيف نستفيد، منه لاحقاً، وقد جاء.

_ وقد جاء ليحقق معي.

_ نعم.

سأل بلعون.

_ لا تنسَ فهو مساعد الأمن الجنائي؟

_ هذا هو المطلوب.

دق جرس الباب، فتح التحري له الباب، وظل القط العجوز، جالساً على طرف السرير، صدق حدسهم بِشأن الضيف، الذي كانا يتحدثان عنه قبل ثوانٍ قليلة، فكان الزائر أبو حشيش القصير، ذو الوجه الأسود، وأفسحا له الطريق ليجلس على كرسي طاولة الكتابة.

قال أبو حشيش:

_ كيف حال القط العجوز؟

_ بِخير.

_ وأنت كيف حالك؟

ـ ليس كثيراً.

أبو حشيش لا يشكر ولا يحمد أبداً، فهو في حالة الجوع الدائمة، والتفت نحو التحري، الذي كان يقف بِصمت أمام النافذة المفتوحة، وهو يُراقب حركة الشارع من الطابق الثاني للفندق قائلاً:

ـ كيف حال التحري العظيم؟

ـ بخير.

ـ سمعتُ بالفرع، أنك أتممت المهمة الخارجية بِنجاح باهر.

ـ نعم.

تدخل بلعون:

ـ أبو حشيش أُدخل في صلب الموضوع.

قال أبو حشيش:

ـ لماذا تستعجل، دعني أرتاحُ قليلاً، من صعود هذه الدرجات القاسية؟

ـ آسف، ماذا تشرب؟

ـ شاياً ثقيلاً، من فضلك.

ـ وأنت يا بريسكو؟

ـ أنا أيضاً أُريدُ الشاي.

وضغط على جرس الإنترفون، وطلب من الإدارة ثلاثة أكواب شاي إلى الغرفة رقم 20، وكان المُساعد أبو حشيش قبل أن ينتقل إلى الأمن الجنائي، كان يخدم ضمن صفوف الجيش النظامي في السابق، حسب ما سمعه بلعون.

قال أبو حشيش:

ـ شكوى ضدك.

قال التحري:

ـ ضدي أنا.

ـ نعم ضدك.

ـ ممكن أن أعرف من الذي أقام الشكوى؟

ـ مُدير حانة الضفادع المموهة على طريق المطار.

ـ على أي أساس.

ـ على أساس انتحال الشخصية.

ـ انتحال الشخصية.

ـ هل تنكر ذلك؟

ـ كلا. لا أنكر.

ـ وقُمت بِذلك.

ـنعم.

دق جرس الباب وقتها، استلم العجوز ثلاثة أقداح من الشاي الأسود الثقيل حسب الطلب.

قال المساعد الجنائي أبو حشيش:

ـ إن فحوى التقرير كالتالي: إنك حققت مع عامل التنظيف الجديد في الحانة، وأخفيت شخصيتك كتحري مستقل عنه، بانتحال شخصية ضابط في الأمن الجنائي، وصديقك بلعون بِدور المساعد الجنائي، والغرضُ من ذلك انتزاع المعلومات قسراً من الشاهد.

ـ هل هذا صحيح؟

ـ نعم صحيح.

أكد أبو حشيش:

ـ لا تراجع عن هذه الأقوال.

ـ لا رجعة عن هذه الأقوال.

قال أبو حشيش، وهو ينظر باتجاه بلعون الصامت حتى تلك اللحظة:

ـ لا يوجد شكوى ضدك.

ـ لا يهم.

ولكن السيد بلعون لديه الملف الكامل عن حياة أبو حشيش، ولماذا سُمي بهذا الاسم، لأنه كان يرتشي من جميع العساكر، أثناء أداء خدمته في الجيش النظامي، ولا يوفر شيئاً بتاتاً، وكان يمتلك حقيبة دبلوماسية، تلازمه باستمرار أثناء دخوله إلى القطعة العسكرية في الصباح، وحتى خروجه بعد منتصف الظهر، وفي اليوم الذي لا يوجد شيء يقوم بِسرقته، يبدأ بِقطف العشب الأخضر من أرض اللواء، فيملأ

بها الحقيبة الدبلوماسية تلك، حتى لا يخرج صفر اليدين، وسمع عنه مرة، وقد أخبر أصدقاءه من المساعدين، إذا ما أصبح العشبُ يابِساً، أقسم أن يأخذ التراب من القطعة العسكرية التي يخدمُ بِها، ليُضيفها إلى تُراب أرض حديقة منزله الخاص. فعندما رأى السيد بلعون أن أبو حشيش هو المحقق الجنائي الذي جاء لُيحقق مع التحري المستقل آدم بريسكو، اطمئن قلبه، وارتاح لذلك، ولم يتدخل من أجل تقديم الوساطة، بالنهاية، عرف إن الدراهم كالمراهم، خاصةً مع شخص مثل المساعد أبو حشيش.

قال أبو حشيش:

ـ هل تعرف يا سيد بريسكو، إن مرتكبي جرم انتحال صفة رجل الأمن، يُعاقب عليها بالسجن لمدة شهرين، إلى مدة سنتين؟

أجاب المحامي بريسكو:

ـ نعم، أعرف، يُعاقب بِموجب المادة رقم / 382/ ، من قانون العقوبات.

أكد أبو حشيش:

ـ ها أنت، تحفظ القانون عن ظهر قلب.

ـ أنا محام سابقاً.

ـ ولماذا ارتكبت هذا الخطأ الفادح؟

ـ أهلُ مكة أدرى بِشعابها.

قال أبو حشيش:

ـ يمكن أن تزداد العقوبة لتمتد من ثلاثة أشهر إلى سنتين، في حال ارتداء المنتحل زياً، أو شارة خاصة بالشرطة، أو قوى الأمن الداخلي.

أجاب بريسكو:

ـ القصد الجرمي منه، هو الظهور بِمظهر رجل الشرطة، وممارسة صلاحياته.

فتدخل السيد بلعون مُقاطِعاً:

ـ السيد بريسكو، لم يستخدم الزي الرسمي، أو شارة الشرطة من أجل انتزاع الأقوال.

ردَّ أبو حشيش:

ـ هذا لا يُسقط عنه التهمة، لأنه خالف الشق الأول وهو الادعاء، وسيُعاقب على ذلك.

أخرج المساعد أبو حشيش بِنهاية التحقيق دفتراً، وقام بِتدوين إفادة المحامي المطرود من نِقابة المحامين، والمُتهم بانتحال شخصية رجل الأمن، بِناءً على شكوى مُقامة ضده من قبل مُدير الحانة، وقبل أن يبدأ بِكتابة التقرير، تقدم منه السيد بلعون، وهمس في أذنه بِبعض الكلمات.

قال أبو حشيش:

ـ كُلما كان الرقمُ عالياً، كان نتيجة التقرير لِصالحه.

وارتفع في الحال صوت ضحكات عالية في غرفة الفندق بِوسط المدينة، شارك فيها الأشخاص الثلاثة.

وبعد أن أصبح المحققان المستقلان لوحدهما.

قال السيد بلعون:

ـ بريسكو أنت على حق.

ـ وصوت الحق لا يُعلى عليه صوت.

ـ غداً نتقابل في حانة الضفادع المموهة.

ـ لِنُناقش الكلمات على خلفية الصورة القديمة.

ـ بالطبع.

ـ وهو كذلك.

– 7 –

كانت الحانة ممتلئة عن آخرها، بالزبائن الدائمين، في صباح ذلك اليوم.

سأل السيد بلعون:

ـ هل الصورة معك يا بريسكو؟

ـ هي معي.

ـ هل عرفت المرأة في الصورة؟

ـ لم أتعرف عليها بعد.

لقد تصاعد ضجيج وأصوات أحاديث الزبائن المرتفعة، مع دخان السجائر الكثيفة، جعلت من السيد بلعون يسعلُ سُعالاً حاداً.

فقال التحري بريسكو:

ـ كُنا بالعكاز، والآن صرنا بالسعال، لا أجده تحمله معك.

ـ تريد الصراحة، لم أتعود عليه بعد، ولن أحمله، إلا إذا ساءت حالةُ ركبتي أكثر من اللازم.

انتهيا من الحديث، بعد سماعهما على الطاولة المجاورة، حدوث شِجار بين اثنين من رواد الحانة الأكثر حضوراً، وتدخل السيد بلعون مع المحامي بريسكو، لِفض الشِّجار وحل النزاع بين الشخصين المُتخاصمين.

فخاطب التحري الرجل القصير أولاً:

ـ لماذا تتشاجران؟

تدخل الرجل الطويل في الرد عنه:

ـ لن تصدق يا سيدي، إذا ما قُلتُ لك سبب النزاع فيما بيننا.

بينما ظل الرجل القصير صامتاً.

قال التحري المستقل:

ـ قُل ما السبب؟

أجاب الرجل الطويل:

ـ كنتُ وزوجتي جالسين على مائدة الفطور.

صمت لأخذ نفس بِسبب الانفعال الذي استبد به.

أكمل الرجل الطويل:

ـ أخبرتُ زوجتي الثرثارة، أنني رأيتُ جارتنا التي تسكنُ في الشقة المقابلة لنا في نفس البناية، تأتيني في الحلم وأنا نائم، وهي تسلم عليَّ وتسأل عن أحوالي.

ـ وبعد.

ـ في مساء كُل يوم، تذهب زوجتي، لِزيارة جارتنا، التي رأيتها في حلمي وأنا نائم، وإذ تُخبرها بِذلك.

توقف.

ـ أكمل.

ـ ولكن ما لم أكُن أتوقعه، حصل، كُل ما دارت بين المرأتين، نقلته جارتنا حرفياً إلى زوجها، ويمكن أن تكون قد رشت عليه بعض الملح والبهار، لكي تتباهى أمام زوجها.

أخذ فترة من الراحة.

ثُم أكمل:

ـ وفي صباح اليوم التالي، أفقتُ على رنين جرس الشقة المتواصل، ففتحتُ الباب بعيونٍ ناعسة، وإذ بي تأخذني الدهشة بِرؤية رجلين من الشرطة يسألانِ عن اسمي، وفي الحال قبضوا عليَّ دون سؤال أو جواب.

كان انفعاله يزداد كلما تقدم في ذكر قصته المأساوية.

وأكمل ما تبقى منها:

ـ أُودعتُ السجن لمدة أسبوع كامل، وأنا قيد التحقيق باستمرار، ثُم تم عرضت قضيتي التي أُتهمتُ بِسببها، على القاضي، فاحتار القاضي في أمري، وبالنهاية لم يجد النص الذي يستند عليه في الحكم، أخيراً أمر الشرطة بإخلاء سبيلي. أيرضيك هذا العمل يا سيدي، أليس هذا ظلمٌ واجحاف جار بِحق الجار، أن يُسجن بِسبب أحلامه؟

تدخل السيد بلعون لحل المشكلة موجهاً حديثه للرجل القصير الواقف أمامه:

ـ هيا قدم اعتذارك للرجل.

ـ قدمتُ اعتذاري له فلم يقبل.

التفت التحري بريسكو إلى الرجل الطويل:

ـ أنت أيضاً أخطأت بِحق الرجل، ما كان على زوجتك، أن تقوم بِنقل أسرار بيتك، وخاصةً التي تمسُ الجيران، فعليك أن تُسامحه، ولا تعالج خطأً بِخطأ.

أجاب الرجل الطويل:

ـ أنا آسِفٌ جداً، واعتذر منك يا جاري العزيز.

بعد تصافى القلوب، وإزالة الخلاف العالق بين الرجلين، وقبل أن يعود المُحققان مُجدداً إلى مكانهما السابق.

قال الرجل الطويل ليُختم موقف المأساة بِموقف الكوميديا:

ـ عندما جاء رجل الشرطة ومعه ورقة الإفراج، فصاح على اسمي، هيا قُم إفرج عنك. هل تعرفون ماذا قُلتُ له:

قالوا:

ـ ماذا قُلت:

ـ كنت وقتها محاطاً بِمجموعة من المساجين، فأخبرتُ الشرطي، لن أخرج إلا إذا ما تناولتُ طعام الغداء مع الشباب. وضج المكان عندها بِصوت قهقهات عالية.

سأل السيد بلعون التحري مُستفسراً:

_ ماذا بِشأن مسألة أسماء الضحايا خلف الصورة؟

_ بِشأن مسألة اسماء الضحايا فهي مدونة على الشكل التالي.

1_ الضحية الأولى المُطلقة: ا. ط.

2_ الضحية الثانية المُطلقة: ر. ب.

3_ الضحية الثالثة المُطلقة: و. ا.

4_ الضحية الرابعة المُطلقة: ص. ض.

5_ الضحية الخامسة المُطلقة: ن. ل.

6_ الضحية السادسة المُطلقة: .....

قال التحري:

_ هذه الكلمات الموجودة على خلفية الصورة، مع الإشارة إلى أول حرف من اسم الضحية، مع أول حرف من اسم الأب، أو ربما كان من اسم الكنية.

بعد أن جلب النادل، كأسين من الشاي لهما، ثُم غادر على عجل.

سأل السيد بلعون:

ـ لم أفهم شيئاً، هل فهمت شيئاً أيها التحري العظيم من هذه الحروف؟

ـ هذا لُغز غامض.

ـ ما الحل؟

ـ لا يوجد حل، في الوقت الراهن.

ـ لماذا لا نبحث عن المُطلقات المقتولات؟

ـ كما تقول، ابحث عن إبرة في كومة قشٍ ضخمة يا سيد بلعون.

سأل السيد بلعون:

ـ وهل نستسلم؟

ـ المسألة ليست مسألة استسلام، أو غير استسلام، فهي أكبر مما تتصوره، إن أسماء الضحايا مدون، منذ مدة طويلة جداً، أي منذ أعوام عديدة، ويمكن أن نستنتج من قِدم الصورة المهترئة.

ـ ما العمل؟

ـ العمل، أن نصبر ونتمهل، حتى يتكشف لنا بعض الحقائق والتفاصيل.

قال السيد بلعون بِنفاد صبر:

ـ أي بعد أن تقع جريمة قتل أخرى.

ـ أصبت منتصف الهدف هذه المرة.

ـ على أي أساس.

ـ على أساس أن يقع القاتل في الفخ.

قال السيد بلعون:

ـ أيُّ فخ؟

ـ الفخ في وقوع عملية القتل، والذنب ليس ذنبنا، واللوم يقع على عاتق المرأة الشابة، ذات الكعب العالي، التي أوصلت الصورة إليك.

ـ لماذا يا بريسكو؟

ـ لو كشفت عن هويتها، وسلمت الصورة باليد، لما وقع لها الأذى.

قال السيد بلعون:

ـ كلام معقول، ولكن ما الذي منعها، برأيك؟

ـ برأي هذا سؤال هام جداً للغاية، ويعد محور القضية الأساسية، التي نعملُ عليها الآن، يمكن أن تكون من جملة المطلقات، ولكنها حديثة التعرف على القاتل، وسرقت منه الصورة، بعد أن عرفته على حقيقته، ولكنها خوفاً من الفضيحة، تجنبت عدم تعرفك عليها، لأننا نعيشُ في مجتمع تسوده العادات والتقاليد.

ـ حياتها في خطر.

أكد التحري:

ـ لا شكَّ أنها معرضة للقتل، طالما ظل القاتلُ مجهول الهوية وحُراً طليقاً.

أجاب السيد بلعون:

ـ إن بقاء المرأة على قيد الحياة مرهونٌ.

ـ نعم، مرهونٌ، بشيء واحد فقط.

ـ ما هو هذا الشيء؟

ـ أن تأتي إليك وتخبرك الحقيقة بِنفسها، ومن الذي يلاحقها، قبل فوات الأوان.

ـ وإذا لم تأتِ، فما مصيرها؟

ـ مصيرها الحتمي، هو الموت.

وعلى إحدى الطاولات البعيدة عنهم، نشب شِجار وخناق آخر، ولكنه سرعان ما خمد أواره وانطفأ، فلم يُبالوا به هذه المرة.

سأل السيد بلعون مُحطم الأعصاب:

ـ هل لي القول نحنُ هُزمنا وفشلنا في هذه القضية فشلاً ذريعاً؟

ـ على الأقل، الآن.

ـ ولاحقاً.

ـ رُبما. لا.

قال السيد بلعون حائراً:

ـ أنت، لا تعطي، الجواب الشافي والقاطع، ولا تعترف أن مهمتنا انتهت، هل مازال لديك الأمل في حل لغز الصورة؟

ـ عليك على الأقل، ألا تقطع الأمل والرجاء، حتى آخر لحظة، ربما يتغير كل شيء رأساً على عقب، ونحنُ نخرجُ من حانة الضفادع المموهة.

وقبل أن يتهيأ التحري في تسليم الصورة وإرجاعها إلى مساعده في التحقيقات المستقلة.

طلب السيد بلعون:

ـ أعطني الصورة.

ـ ماذا ستفعل بها؟

ـ سأتلفها، وأُمزقها إلى ألف قطعة.

ـ هدئ من روعك، فأنت متوتر للغاية.

ـ أعرف ذلك، فكم أمرك عجيب أيها الأصلع، أعصابك أقوى من الحديد.

أجاب التحري الهادئ:

ـ دعنا نذهب، ونترك هذا المكان، قد يأتينا العجب والفرج في الطريق الذي سنسير فيه.

ـ وقد لا يأتي.

ـ وقد لا يأتي. ألا ترى معي أن المُدير تجاهلنا منذُ أن وشى بِنا للشرطة.

ـ لا تهتم لأمره.

في الوقت الذي خرجا معاً من الحانة إلى الشارع العام، كان هناك عدد من عمال البناء، كانوا يعملون في مبنى ضخم قيد الإنشاء، على مسافةٍ قليلة منهم، وكما يقولون البناءُ هو أول مشفى مُخصص لإجراء عمليات القلب الجراحية في المدينة.

سأل السيد بلعون في لحظة الافتراق والمغادرة:

ـ إلى أين أنت ذاهب؟

ـ إلى غرفة الصفيح فوق السطوح.

_ انتهت القضية.

_ نعم.

_ هات الصورة.

_ خُذها.

كان السيد بلعون محبطاً للغاية، ووصلت حالته النفسية إلى أعلى الدرجات من اليأس والقنوط، عندما علم إنه مُنيَ بِهزيمة ساحقة في مهمته، وفشل فشلاً عقيماً في الوصول إلى سر الصورة، ولكن التحري لا يستسلم، ولو كان شريط المشنقة ملفوفاً على عنقه، وكان لديه شعور داخلي قوي يدفعه إلى الاعتقاد أن هذه ليست النهاية التي كان يتوقعها، خاصة بِبداية تحقيقاته الأولى مع الرجال الثلاثة في الحانة.

وفي الوقت الذي انتهت القصة عند تلك النقطة، وإذ برجلٍ طويل القامة، يحمل بيده الجريدة، واتجه إلى السيد بلعون، وقام باحتضانه.

قال بلعون وهو يشير إلى التحري:

_ هذا شاعرنا معصوم بابا، أتوقع أن لديه بعض الأخبار.

قال الشاعر بابا:

ـ لدي، للأسف فهو خبر مفجع.

ـ ما هو.

ـ هل تذكرت حديثنا منذُ مدة، ونحن مُجتمعين بِحديقة سوق حطين؟

ـ نعم. أتذكر جيداً. فلم يمضِ عليها وقت طويل. ماذا حدث؟

ـ ماتت المرأة، ميادة الشباب.

سأل بلعون:

ـ كيف؟

ـ انظر إلى الجريدة، كُل التفاصيل موجودة بِصفحة الحوادث.

وقبل أن يُسلم الجريدة إلى السيد بلعون، عدد يوم الاثنين لهذا اليوم.

سأل الشاعر بابا:

ـ أليس هذا التحري المشهور، آدم بريسكو.

ردَّ عليه بلعون:

ـ نعم. هو.

ـ توقعت ذلك، من صلعته، كيف الحال؟

أجاب التحري:

ـ بِخير.

التقط منه السيد بلعون الجريدة بِقلب مكسور، حُزناً على وفاة المرأة الشابة ذات الجسم الموفور ميادة الشباب.

سأل السيد بلعون الشاعر بابا المضطرب:

ـ هل تلزمك الجريدة؟

ـ لا. احتفظ بِها، لأنني انتهيتُ من قراءتها.

وغادرهم الشاعر بابا، وعلى عينه غشاوة من الدموع، ولكن بِلقائه العابر معهم، ومعه هذا الخبر السيئ، فقد غير مجرى الأحداث كُلياً، وعادت بالقصة إلى المتابعة لولا ذلك.

قال السيد بلعون:

ـ أنا آسف خذ الصورة.

_ ماذا جرى؟

_ الأمور تغيرت الآن.

وتواعدا أن يلتقيا غداً الثلاثاء بِغرفة الفندق وسط المدينة، مكان إقامة السيد العجوز، مدى الحياة، إذا لم تُجبره الظروف القاهرة للانتقال إلى دار العجزة.

– 8 –

ها هي ساعة الجدار في غرفة الفندق، تُشيرُ إلى الواحدة، من بعد ظُهر يوم الثلاثاء، عندما فتح السيد بلعون جريدة قامشلي جليد، كان عدد البارحة، وحدق نحو صديقه التحري، الواقِف أمام النافذةِ المُطلة على الشارع العام، وكان هناك نوعاً من الهدوء التام.

سأل السيد بلعون:

ـ هل عندك الاستعداد يا صديقي، أن تسمع هذه الحادثة الأليمة؟

ـ حادثة ميادة الشباب.

ـ نعم.

وبدأ السيد العجوز يقرأ، ما جاء بِخصوص حادثة السيارة التي حصلت على الطريق العام خارج المدينة في الجريدة التي كانت بِحوزته قائلاً:

ـ مقتل ميادة الشباب العضوة البارزة في مُنظمة الدفاع عن حقوق المرأة، إثر وقوع حادثٍ موجع وأليم لها، عندما ارتطمت سيارتها بِعمود

الكهرباء على قارعة الطريق الطويل، ووقفت على حافة جرفٍ تُرابي خارج حدود المدينة، مع العلم أن أجواء الطقس كانت صافية جداً، مما أدى إلى نشوب حريق هائل أثناء ذلك، وقد التهمت تلك النيران هيكل السيارة وجسد صاحبتها معاً، وكانت تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، وهي امرأة مطلقة، وبعد أن تم إسعافها من قبل عناصر الشرطة، فقد تبين، من تقرير طبيب الشرعي، إنه لم يتمكن من تحديد وقت الوفاة بِدقة، وذلك نتيجة تضرر الأنسجة بِشكل بالغ، وتفحم الجثة بالكامل، أما فيما يتعلق بِتحقيقات الشرطة وتحرياتها النهائية، أكدت أنه حادث مروري شائع، فقد خرجت السيارة كالمألوف عن الطريق، وارتطمت بِذلك العمود. ولا وجود على دليل يُظهر إنها كانت عملية قتل مُدبرة من قبل. فقد تم غلق محضر القضية على هذا الأساس.

وبعد انتهاء القراءة.

سأل السيد بلعون التحري، الذي كان يُنصتُ إليه باهتمام:

ـ ما رأيك؟

ـ تُريدُ رأيي.

ـ نعم.

ـ تكونت لدي عدة آراء.

ـ لِنُناقشها معاً.

قال التحري العبقري:

ـ لِنرجع إلى الوراء قليلاً، تحديداً إلى ذلك الاجتماع الذي عُقِدَ في حديقة سوق حطين، ما الذي دار حصراً، بين ميادة الشباب، والشاعر بابا الملقب بِفيلسوف الشارع؟

ـ إلامَ ترمي، يا بريسكو؟

ـ أنت تنسى سريعاً، أيها القط العجوز، فقبل أن يُسلمك الشاعر بابا الجريدة، سألك ألم تتذكر حديثنا في الحديقة قبل عدة أيام.

ـ عفواً أنا آسف، الآن تذكرت، لقد احتد الحوار والنقاش بين الشاعر بابا، والآنسة ميادة الشباب، حتى ظننتُ وقتها، أنه قد وصل إلى الشيطان الرجيم بينهما.

ـ حول ماذا دار النقاش؟

ـ حول المُطلقات، وحول حقوق مساواة الرجل والمرأة.

ـ واحتد الخلاف بينهما.

ـ وصل إلى الشيطان الرجيم.

سأل التحري:

ـ هل سمعت أنه قام بِتهديدها؟

ـ لا، لم أسمع. فهل تظن أنه القاتل؟

أكد التحري:

ـ فالكثير من الناس، عندما يحتدم الجدال بينهم، لا يعترفون بالهزيمة والاستسلام، في مواجهة خصومهم، وقد يلجؤون إلى أذيتهم بأية طريقة كانت، فقد تصل الأمور أحياناً للتصفية الجسدية، عن طريق القيام بارتكاب جريمة قتل.

سأل بلعون:

ـ هل يقومون بأنفسهم في تنفيذ عملية القتل؟

ـ ليس بالضرورة.

_ كيف؟

_ يمكن عن طريق قاتل مأجور.

_ ولكنك لا تستبعد الشاعر بابا من دائرة المُشتبهين بِهم.

_لا، حتى الوصول إلى الجاني الحقيقي، الذي قام بِذلك.

سأل بلعون:

_ هل لديك ما تُضيفه؟

_ بالطبع.

_ ما هو؟

_ بِمُجرد حصول الحادث، في مكان بعيد خارج المدينة، وكان الطقس مستقراً، لا مطر، ولا ضباب، ولا انزلاقات، والرؤية كانت واضحة، فكيف تذهب السيارة، وترتطم بِعمود الكهرباء، إلا إذا كانت؟

_ أوضح، (إلا إذا كانت).

_ قد شربت كثيراً وسكرت بالطريق.

ـ من هذه الناحية، لا أعرف إن كانت تحتسي المشروبات الكحولية، أم لا، أنت تشك بِرواية الشرطة بِشأن وقوع الحادث المروري؟

ـ الشكُ قائم، حتى تنجلي الحقيقة النهائية.

ـ هكذا إذن.

قال التحري:

ـ علينا القيام بالتحقيق مع أحد أقربائها المُقربين.

ـ إنه أمرٌ ضروري، للوصول إلى معرفة الحقيقة.

ـ ألا تثق بِرواية الشرطة.

ـ لستُ واثقاً من صحة تحقيقات الشرطة، ألا ترى السرعة والعجلة، في إصدار الحكم، وغلق القضية.

ـ معك حق، البارحة حصل الحادث، وأُغلقت التحقيقات والتحريات، وتم صدور تقرير الطبيب الشرعي، في غضون أقل من ساعة.

ـ أشكُ أن شخصاً ما ذو شأن وراء تلك الأوامر.

_ وما مصلحته؟

_ هذا ما أُريدُ أن أعرفه.

سأل السيد بلعون:

_ كيف؟

_ الآن دخلت معي على الخط، عليك أن تشم الأخبار من بعيد، وأنت تتوارى عن الأنظار، دون أن تعرض نفسك للمُساءلة والخطر الجسيم، بِسبب حساسية الموقف الذي نمرُ به، وخاصةً بعد أن قُدِمت بِحقنا الشكوى من مُدير الحانة.

_ لو لم يكن المحقق هو أبو حشيش.

أكمل التحري:

_ كُنا الآن وراء القضبان.

سأل السيد بلعون:

_ ما الذي عليَّ أن أقوم به؟

ـ عليك أن تتصل مع المساعد الجنائي أبي حشيش، وتُرشيه بالمال الكثير.

ـ لماذا؟

ـ يلزمنا لاحقاً.

ـ إنه عندي.

قال التحري المستقل:

ـ أمامنا مُهمتان.

ـ ما هي؟

ـ أنا سأتكلف بِمُقابلة أهل ميادة الشباب المُتوفاة، وأنت مُكلف برؤية صاحبنا أبي حشيش.

ـ أنا جاهز، ومن يقوم بالتحقيق مع فيلسوف الشارع.

ـ أنا.

سأل بلعون أيضاً:

ـ ماذا لديك من آراء بعد؟

ـ أرى أن نسأل عن طليق ميادة الشباب، إن أكثر حالات الطلاق تقع نتيجة خلافات حادة بين الطرفين.

ـ ترى، المُطلق وراء تدبير عملية القتل.

ـ لا يمكن أن نستبعد هذا الأمر، يجب أن نستفسر، ونسأل أهلها، عند اللقاء بِهم.

سأل بلعون:

ـ هل انتهينا؟

ـ لم ننتهِ بعد.

ـ ماذا بعد؟

ـ بعد أن تذهب لِقابلة أبي حشيش، نجتمع هنا بعد أن ننتهي من مُهمتنا.

ـ أظنُ أنك تُخفي أمراً هاماً عني، لماذا لا تقول الآن؟

ـ بدأتُ أشك، ولكنني غير مُتأكد بعد، يلزمنا المزيد من المعلومات والحقائق، حتى نصل إلى القاتل.

كان منتصف الليل عندما جاء التحري من جولته، هذه المرة لم يعترض طريقه، من قِبل محاسبة الفندق تلك الفتاة الشقراء، التي كانت تُداوم في الصباح، وكانت تحلُ محلها واحدة أخرى لا تهتم به، فصعد إلى الطابق الثاني، وهو يكادُ يطيرُ فرحاً وسروراً، لأنه لم يتعرض للملاحقة العاطفية، ككُل مرة كان يتعرض لها، وعندما فتح له العجوز الباب، الذي أتم مُهمته بِوقتٍ أقل، وذلك لعدم رؤيته المساعد أبو حشيش، الذي كان في مهمة خارج الفرع.

سأل السيد بلعون:

ـ ما كُل هذه السعادة التي تحفلُ بِها يا بريسكو؟

ـ لماذا تسأل؟

ـ هل لديك معلومات هامة؟

ـ ليس بعد.

ـ ولكن ما هو السبب؟

ـ تصور الطريق إليك اليوم آمن.

ـ الفتاة الشقراء.

ـ نعم.

ـ إنها تحضر في الصباح، وتُغيب في المساء.

قال التحري:

ـ لن أزورك في الصباح.

ـ بِسببها.

ـ وهل هناك غيرها؟

بعد هذه المُحادثة، وغيرها من المُحادثات الأخرى، فقد توصل العجوز إلى نتيجة مفادها، إن صديقه الشاب المحامي المفصول من المهنة، مريض، ولن يتزوج في حياته، ولن يُقيم ولو علاقة حبٍ واحدة مع الجنس اللطيف، ولو على سبيل التسلية والترفيه عن النفس، وما زاد مؤخراً من يقينه، إذا ظل حفظ وبقاء النسل البشري من الاندثار والانقراض، لا يتطوعُ هذا المحامي في هذا الإسهام مهما حصل، أما العجوز كانت حالته شبيهة بِحالة صديقه العازف عن الزواج، ولو اختلف عنه بعض الشيء، لقد أحب السيد بلعون في شبابه، في الوقت الذي كان يمتهِنُ من الإجرامِ حرفةً ومهنةً له، وقد قُتلت زوجته في إحدى

اشتباكاته مع الشرطة، ثُم قرر ألا يتزوج، فقد بذل الصديقان حياتهما، وسخرا مالهما في سبيل مكافحة الجريمة، وملاحقة المجرمين الهاربين من قبضة العدالة.

قال التحري:

ـ أولاً اطلب لنا القهوة، ونناقش فيما أنجزناه بِفترة ما بعد ظُهر هذا اليوم.

ـ حالاً.

ولم تمضِ سوى لحظات، حتى طرق الخادم الباب، وأحضر لهما كوبين من القهوة المرة.

سأل بلعون:

ـ ماذا لديك من معلومات بِشأن المقابلة مع أهل ميادة الشباب؟

ـ التقيتُ مع أخيها الأكبر.

ـ وهل اللقاء أثمر عن شيء؟

ـ بالتأكيد.

قام التحري بِتشغيل جهاز التلفاز، وقلب على قناة الحدث الإخبارية، ولكنه كتم الصوت.

قال التحري بريسكو للسيد بلعون:

ـ لقد تعاون الأخ بِشكل إيجابي ومرن في الإدلاء بأقواله.

ـ هل بالفعل، كما مذكور في الجريدة، ميادة الشباب مُطلقة؟

ـ نعم.

ـ منذُ متى؟

ـ سنة تقريباً.

ـ ألم يقُل أين يسكن مُطلقها؟

ـ إنه ترك البلد، بعد حوالي شهرين من قوع الطلاق.

ـ سقطت عنه الشُبهة.

ـ صح، غير موجود، وقت وقوع الحادث، الذي أدى إلى الوفاة.

سأل بلعون:

ـ ماذا بِشأن الشاعر بابا؟

ـ اعترف أنه على خلاف حاد مع المرحومة بالفكر.

ـ وهل أشار إلى أية رابطة حب أو عاطفة بينهما؟

ـ أنكر ذلك.

ـ وهل أثبت مكان وجوده، وقت وقوع الحادث؟

ـ لم يثبته.

ـ ما رأيك بالشاعر بابا؟ وهل له صِلة بِعملية القتل؟

ـ برأيي أن الشاعر بابا نفد من القضية، باعتبار أن الشرطة أغلقت الملف، واعتبرت الحادث عارضاً، لا توجد أدلة وبصمات تدل على حدوث جريمة قتل مُخطط لها، فقد تسقط عنها الصفة الجنائية، أما عن علاقته بالحادث، فمن جانبي فهو غير بريء، وستحوم حوله الشكوك والشبهات، حتى نصل إلى اكتشاف هوية القاتل الحقيقي.

أراد التحري، الذي كان يتجولُ في غرفة الفندق جيئةً وذهاباً، أن يُهيمَ بِرفع صوت التلفاز.

حتى سأل السيد بلعون:

ـ هل هناك شيء آخر.

ـلا.

سأل التحري بِدوره:

ـ أنت ماذا لديك، بِشأن اللقاء مع أبي حشيش؟

ـ أنا.

ـ نعم.

ـ صاحبنا، لديه مهمة خارج الفرع.

ـ ألم يقل متى سيعود؟

ـ بعد أسبوع.

ـ أريد أن ترتب لنا معه لقاءً.

ـ كما تُريد.

سأل السيد بلعون الذي لم يتحرك من مكانه:

ـ هل تعتقد، إن أبا حشيش يمكنه مُساعدتنا؟

ـ هذا ما أتأمله على الأقل.

قال بلعون بِحذر:

ـ أخافُ من أننا سنفقد قضيتنا للمرة الثانية والأخيرة، وتنتهي القصة دون اكتشاف القاتل.

ـ تُريد الصراحة أيها القط العجوز.

ـ طبعاً.

ـ الصراحة، أنا أيضاً مُتشائم من عدم العثور على القاتل.

ـ السبب.

ـ السبب، لا يوجد قضية جنائية، نستند إليها في القيام بالتحريات المطلوبة، وهنا نحنُ مُحاصرين من كل الجهات، والجهات الأمنية لن تسمح لنا بالتحرك في هذا المجال، وهذا الأمر يُقيد من حُريتنا، وكذلك يغلق جميع الأبواب والنوافذ في وجهنا الآن، أما لو كانت الجهات تحركت ولم تُغلق القضية، لكُنا تحركنا بالموازاة معهم للقيام بِحل ما.

أجاب بلعون:

ـ وعندها قدم أبو حشيش جميع المعلومات لنا على طبقٍ من ذهب، مقابل المزيد من المال.

ـ نعم.

سأل السيد بلعون:

ـ مصير القضية مُتعلقة على اللقاء مع المساعد أبي حشيش، أليس كذلك؟

ـ بالفعل متوقف عليه.

ـ سيد بريسكو أين ستختفي مدة الأسبوع هذه؟

توقف التحري قليلاً عن الحركة، ونظر إلى عيني العجوز الصغيرتين بسبب تقدمه بالعمر، وهو يرفع صوت التلفاز قائلاً:

ـ سأذهب إلى الريف. لحِل مشكلة.

ـ أتمنى لك التوفيق والنجاح، يا سيد بريسكو العبقري.

ـ شكراً جزيلاً.

– 9 –

بعد مُضي أسبوع كامل على زيارة التحري إلى الريف، عاد مفعماً ومليئاً بالنشاط والحيوية، وكان حزيناً وبائساً بِنفس الوقت، وتقابل في صباح الأربعاء مع القط العجوز، في حانة الضفادع المموهة، في انتظار رسالة إلكترونية من المساعد الجنائي أبي حشيش، لتحديد موعدٍ معهم لِدخول غرفة أرشيف الأمن الجنائي.

سأل بلعون:

ـ هل حُلَّ النزاع العائلي؟

ـ نعم.

ـ كيف هي الأجواء في الريف؟

ـ خراء.

ـ لماذا؟

ـ لا توجد سوى زوابع الغُبار.

ـ المدينةُ كذلك؟

ـ المدينةُ خراء.

عندها سمِعوا نغمة رِسالة إلكترونية، فتح بلعون موبايله، كانت الرسالة من أبي حشيش تُخبرهم فيها:

ـ عليكم الحضور في اليوم بالذات، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

أمر التحري:

ـ قُل له، سنأتي في الوقت المُحدد.

ردَّ عليه العجوز بِرسالة عاجِلة:

ـ سنأتي في الموعد المُحدد.

وقبل أن يفترِقا الآن، واللقاء لاحقاً في ليل هذا اليوم، من بعد منتصف الليل.

قال السيد بلعون:

ـ سأمرُّ على الفندق لِأجلب المسدس، هل أجلبُ لك واحداً، عندي اثنان في غرفة الفندق؟

قال التحري:

ـ لا أعرف التصويب بِشكل جيد.

ـ لا تؤاخذني يا سيد بريسكو، أنت رجلٌ غريب الأطوار، لا تعرف استعمال المُسدس، ولا تُحب الزواج، ولا تهتم بِجمع المال، ولا تعرف قيادة السيارة، فلماذا تعيش بالله عليك؟

ـ لماذا أعيش؟

ـ طبعاً.

ـ من أجل انتصار الخير على الشر.

ـ بالتوفيق.

فقد قرر التحري التوجه إلى غرفة الصفيح فوق سطح البناية على طريق الحزام الغربي الذي يلتفُ حول مدينة القامشلي، لِيُحضر معه الصورة، ويستعد للذهاب إلى الموعد الذي حدده أبو حشيش معهم.

في الواحدة تماماً، كان التحري وصديقه حاضرين أمام باب الأمن الجنائي، وقاما بإرسال تأشيرة إلى المساعد أبي حشيش الذي كان

باستقبالهم في الداخل، ما إن استلم الإشارة حتى هرع في الحال، بِفتح باب حوش الفرع.

قال أبو حشيش يحثهم:

_ هيا اُدخلا بِسرعة.

ردَّ عليه السيد بلعون:

_ أين الحارس؟

_ اسقيته المُخدر، انظر إليه أصبح كجروٍ نائم.

كان بلعون يمشي وراء أبي حشيش مُباشرةً، أما التحري فكان يتبعهم، عندها تيسر له أن يلقي نظرة على غرفة الحارس الليلي، الذي سرعان ما أبعد هذه الأفكار عن رأسه، لِيُشغل نفسه بِأشياء أهم في ذلك الوقت الحرج، ومشوا جميعاً على ضوء كشاف ضوء يدوي، كان يملكهُ المُساعد، وعلى يمين الممر، دخلوا إلى غرفة كانت واسعة جداً ومُنخفضة السقف، تمتلئ جميع جدرانها بالرفوف التي تحتوي على الآلاف من الملفات القديمة والجديدة.

قال أبو حشيش:

ـ وصلنا بِأمان إلى غُرفة الأرشيف، ولكن قبل أن نبدأ هل المال المتفق عليه جاهز؟

أخرج بلعون المال، ووضعه في يده، فقام بِشمها ودسها بِسرعة وعُجالة في جيبه الداخلي.

قال أبو حشيش منتشِاً:

ـ لن ترو الضوء ثانية.

هكذا خاطب المال.

سأل بلعون:

ـ لما لم تقُم بالعد؟

ـ أنا أثق بِك لا داعي للعد، لأننا بِحاجة للوقت أكثر لإتمام عملنا، ماذا تُريدون الآن؟

ردَّ عليه التحري، بعد أن نظر إلى الكم الهائل من أكداس الملفات من حوله:

ـ ولكني أرى، أننا لن نصل إلى ما نبحثُ عنه في ظرف عامٍ كامل، إذا ما عملنا منذُ الآن.

سأل أبو حشيش، مُسلطاً ضوء الكشاف اليدوي على الملفات:

ـ عن ماذا نبحث بالضبط؟

ـ عن أسماء ضحايا مُطلقات منذُ زمنٍ بعيد.

ـ لا عليك.

قال التحري غير مُصدِق:

ـ كيف، ونحنُ واقفون، أمام جبل شاهق من الملفات؟

ـ لدي طريقتي الخاصة، تُمكنني من الحصول على ما تُريد في ظرف دقائق معدودات.

سأل بلعون مُتلهفاً:

ـ ماذا لديك؟

ـ لدي جهاز كمبيوتر، فيها جميع الملفات القديمة والجديدة.

ـ هيا أنقذنا.

غمرت الفرحة والسعادة قلب المحققين المستقلين، بهذه المعلومة، فهُما يُريدان الحصول على المعلومات الهامة، تُساعدهما في حل لغز الصورة، والوصول إلى القاتل المجهول، بعد أن عرفا أنهما باتا أسيرين في هذا البناء الأمني، وإن أقل هفوة، أو أدنى غلطة من جانبهم، من الصعب أن يبقوا على قيد الحياة ثانيةً.

وقف أبو حشيش أمام طاولة كبيرة في منتصف الغرفة، الغارقة في الظلام، إلا من ضوء الكشاف الوحيد، وقام بِفتح الجهاز، وكان كُل من التحري والسيد بلعون على جانِبيه يُحدقان متلهفين، ما سيجدونه من معلومات تُفيدُ القضية، وضع الماوس على ملف حوادث قديم جداً.

قال المُساعد الذي كان ينظر باتجاه التحري:

_ ما هو الاسم الأول؟

قال بريسكو الذي أخرج الصورة من جيبه:

_ ا-ط.

حرك الماوس، ووضع الحرفين في خانة البيانات، وبدأ يبحث عن تلك الاسماء التي تبدأ بهذا الحرفين، ظهر لديه على القائمة مجموعة كبيرة

من الأسماء، تابع المُحققان المستقلان ذلك، وراقبا تلك القائمة الطويلة، دون قطع النظر عنها، وكان أبو حشيش يمرر بالسهم نحو الأسفل للحصول على المزيد من الاسماء الجديدة، وبعد مرور عدة دقائق.

قال التحري فجأة:

ـ توقف.

حيثُ توقف على طلب منه.

سأل بلعون:

ـ هل وجدت الاسم؟

ـ ها هو الاسم الذي نبحثُ عنه؟

قام المُساعد بالضغط على الاسم، لِتظهر أمامه الصفحة الإلكترونية المُتعلقة بِها.

عندها قام السيد بلعون بِقراءة التقرير المتعلق بِتلك الحادثة القديمة تقول:

ـ الاسم: ا- ط.

ـ الجنس: أنثى- مطلقة.

ـ سبب الوفاة: الحرق.

أُغلقت القضية، واعتبرت أنها حادث عرضي، ولا توجد أدلة على أنها قضية جنائية.

كان هذا كل ما يتعلق بالنسبة للضحية المطلقة الأولى، ثُم طلب التحري من المساعد وضع حرفين آخرين في حقل البيانات، وبعد بحث ثانٍ، استغرق بعض الوقت، حتى عثروا على التقرير التالي:

ـ الاسم: ر- ب.

ـ الجنس: أُنثى- مُطلقة.

ـ سبب الوفاة: الحرق.

أُغلقت القضية، لعدم وجود أدلة جنائية.

قاموا بِوضع حروف الاسم الثالث، وقد ظهرت على الشاشة، التقرير الثالث على التالي:

ـ الاسم: و- ا.

_ الجنس: أنثى- مُطلقة.

_ سبب الوفاة: الحرق.

حادث عُرضي، وغير جنائي.

جاء دور إدخال الاسم الرابع، وكان الوقتُ يجري كماء النهر، وهم لا يدركون العواقب في ذلك المكان الذي دخلوا إليه سراً، وظهر التقرير على شاشة الكمبيوتر:

_ الاسم: ص- ض.

_ الجنس: أُنثى- مُطلقة.

_ سبب الوفاة: الحرق.

_ النتيجة النهائية: حادث عادي.

وكان قاعدة البيانات تُشير إلى التقرير التالي:

_ الاسم: ن- ل.

_ الجنس: أُنثى- مُطلقة.

_ سبب الوفاة: الحرق.

أُغلقت القضية، على أنها حادث عادي، وليست جنائي.

بالرغم مما كان يدور في ذهن التحري من أحكام، ولكن لن يُصدر الحكم النهائي، بِشأن مصير الضحايا المطلقات، وجميعهن ماتوا حرقاً، وفي فترات زمنية قريبة، ومن نفس المدينة، أهي صدفة كانت، أم هي عمليات قتل مُدبرة، قد تمت على يد قاتل مُتسلسل، ثُم أعطى الحرفين من الاسم الأخير، ولكنه سلفاً كان يعرفُ ما ستؤولُ إليه الأمور، دعه يرى ما الذي سيكون عليه نتيجة التقرير الحديث لهذه الحادثة الأليمة.

طلب التحري، ادخال آخر حرفين من اسم الضحية، الغير مكتوب على خلفية الصورة التي كانت بِحوزته:

ـ م- ا.

وضعهما المُساعد في القائمة، وكان الوقتُ يستنزفُ بِسرعة جداً، كان أبو حشيش يحاول قدر الإمكان أن يُنهي المهمة قبل حلول الثانية عشرة ليلاً، قبل أن تأتيهم الدورية المُتحركة بالسيارة الأمنية، التي تطوف في المربع الأمني كُل يوم، وكذلك على باقي أجزاء مركز المدينة، ووضع الحرفين في القائمة، وانتظر النتيجة على أحر من الجمر، مضى أكثر من عدة

دقائق، ولم يظهر شيء بِخصوص الاسم من معلومات، نفد صبر المساعد، بحيث لم يتبقَ من الوقت إلا القليل، حاول كرةً أخرى لا شيء.

قال أبو حشيش المرعوب:

_ لا نتيجة.

ظل الثلاثة صامتين، حتى أنقذهم بلعون من ذلك الموقف العصيب.

قال بلعون فجأةً:

_ ابحث في الملف الجديد.

تنفسوا الصُعداء، عندما وضعوا الحرفين في بيانات الملف الجديد، ثُم بحثوا بِنظراتٍ نهِمة، وبعد ثواني ظهر التقرير المُتعلق بالحادث:

قرأ السيد بلعون بِصوتٍ عالٍ:

_ الاسم: ميادة الشباب.

_ الجنس: أُنثى- مُطلقة.

_ سبب الوفاة: حادث مروري- الموت حرقاً.

أُغلقت القضية لأنها حادث عادي، وليست قضية جنائية.

كما توقع التحري، فقد اكتمل نصف حل لغز الصورة، وظل النصف الآخر مجهولاً لم تتضح معالمه بعد.

وقبل أن يسأل المساعد الجنائي، ويحثهم على الاستعجال، والخروج من ذلك المكان المُرعب:

ـ هل من وجود اسم آخر؟

سمِعوا حينها من الخارج صوت بوق سيارة دورية أمن مُتحركة، كانت تقِفُ أمام باب الفرع، ليروا إن كان الحارس الليلي، نائماً، أو مستيقظاً، هُنا خر أبو حشيش الجشع، على ركبتيه، وبدأ يتضرع إلى الله تارةً، وتارةً أخرى يبكي ويولول كالنساء الثكالى، بينما ظل التحري وبلعون مُتماسكين واقِفين على قدميهما دون أن يُصابا بالهلع والذعر.

قال أبو حشيش بِصوتٍ واهن:

ـ ما كُنتُ أتوقعُ هذه النهاية، يا إلهي حُكِمَ علينا بالإعدام.

قال بلعون:

ـ هون عليك يا رجل.

لم يتوقف أبو حشيش عن البكاء، وكانت الدورية الأمنية ما زالت تُزمر للحارس الأمني النائم نتيجة عملية التخدير.

تدخل التحري ليُهدئ من روع أبي حشيش المسكين:

_ اهدأ من فضلك، ستموتُ كمداً وحزناً.

_ بالله عليك اتركني في حالي، ها أنني سأموت، ولم أُشبع من جمع المال الحرام والسرقة.

ما إن غادرت الدورية الأمنية المتحركة المكان، ظل الحارس غارقاً في نوم أهل الكهف، فقد انطلق أبو حشيش هارِباً من غُرفة الأرشيف، تارِكاً من ورائه المحققين، اللذين لحقا به بعد قطع ثلاثة شوارع، كان فاقد زِمام السيطرة على نفسه، وكان يتنفسُ بِصعوبة من شدة الخوف.

قال بلعون قبل أن يدركه:

_ قف. لقد ابتعدنا عن مكان الخطر، وأصبحنا في أمان.

توقف أبو حشيش.

قال المساعد الأمني:

ماذا تُريد؟

تدخل التحري وأشار بيده نحو بيت كان قريباً منهم، تابع للمربع الأمني:

ـ أريدُ أن ندخل هذا المنزل.

ـ هل تعرف صاحب المنزل؟

ـ ومن يجهل صاحبه؟

ـ الدخول إليه يُكلف كثيراً من المال.

ـ لا يهم.

قال أبو حشيش الذي بدا صاحياً:

ـ ولكن بِشرط.

سأل بلعون:

ـ ما الشرط؟

ـ الشرط. لن أدخُل معكم، وسيكون الدخول في النهار.

ـ موافِقون.

ـ متى تُريدون ذلك؟

ـ غداً في الظهر.

ـ موافق.

ابتعد أبو حشيش، وابتلعه الظلام، حتى اكتسحت الصديقين موجةٌ من الضحك الهستيري، وسال الدمعُ من عينيهما، وما إن يكادا يتوقفان، حتى يبدأان من جديد.

سأل بلعون:

ـ هل رأيت حالة صاحبنا يا بريسكو؟

ـ كاد أن يُغمى عليه قبل قليل، وأصبح مشلولاً من الرعب.

ـ لماذا؟

ـ خاف على المال، عندما تهيأ له شبح الموت.

ـ أنا وأنت، لم نخف لماذا؟

ـ لا نبحث عن المال، إنما نبحث ونُفتش عن اللذين يحتاجون إلى المساعدة، وعندما يأتينا الموت، نموتُ مرتاحين، لأننا لا نترك شيئاً ذا قيمة وراءنا، نفكرُ فيه، إلا عملنا الذي نفتخرُ بِه ونحنُ أحياء.

افترقا أيضاً في الظلام.

وفي اليوم التالي بعد الظهر، قد دخلا إلى المنزل المنشود، عندما قام المساعد أبو حشيش بِرشوة الحارس الأمني، ودخل التحري بِرفقة السيد بلعون فقط.

سأل بلعون:

ـ حتى الآن لا أعرف عن ماذا نبحث؟

ـ نبحثُ عن ألبوم الصور.

ـ هل أنت متأكد؟

ـ كما أقولُ لك.

ذهب كل واحد منهما إلى غرفة، ليبحثا منفرِدين، لم تأخذ عملية التفتيش معهم كثيراً من الوقت، نتيجة خبرة التحري في العثور على الأشياء المُخبأة، كان بريسكو قد بدأ بحثهُ من غُرفة النوم، اتجه إلى درج

الملابس، لم يجد فيه شيئاً، كانت هناك خزانة أخرى لم يعطيها أهمية، فقد جلس على السرير المزدوج، وحاول أن يتمدد ويسترخي بعض الوقت، بعدها أخذ وضعية الجلوس ثانية، ثُم قام بِسحب درج السرير، لقد عثر على ألبوم الصور في داخله، وبدأ يقلب في صفحاته الواحدة تلو الأخرى. جميعها كانت صور تعودُ إلى أسلحة مُختلفة، حتى وصل إلى الصفحة الأخيرة، أخرج صورة المرأة الشابة التي كانت بِحوزته، كانت الصورةُ على قياس الصفحة تماماً، ولما استقرت داخلها، حتى ظهرت له على الغلاف الشفاف، كلمة أُمي، بِحبرٍ أحمر باهت قديم.

صاح التحري:

ـ اكتشفتُ دليل إدانة قاتل المُطلقات.

كان بلعون يبحث ويفتش في غرفة المعيشة، ترك المكان، وهرع مُسرعاً نحو التحري.

سأل بلعون:

ـ هل أنت مُتأكد؟

ـ كما أراك أمامي.

ـ من هو؟

ـ لِما العجلة، وستتعرف عليه وجهاً لوجه، اذهب أنت إلى غرفة الفندق، سأتغيبُ نصف ساعة فقط، عندي عمل مهم جداً، وعند العودة سنذهبُ معاً إلى هُناك.

بعد مُضي ساعة من مُغادرتهم ذلك المنزل المُهم، ارتقيا درجات عالية، نحو بِناء أمني فخم، تحت حراسة أمنية مُشددة، وبعد انتظارٍ دام ساعةً كاملة، تمت المقابلة مع المسؤول الكبير.

وبعد أن أديا التحية مع ذلك الضابط، تقدم التحري العبقري، بِكُل شجاعةٍ وجرأة نحو طاولته الفخمة، وقبل أن يسألهم الضابط، عن سبب حضورهم، كشف للضابط عن ألبوم الصور مع صورة الأُم دليل الإدانة الدامغ الذي يدينه كقاتل حقيقي ارتكب هذه الجرائم، وظل التحري واقِفاً باستعداد، وكان بلعون لا يزال يقفُ من ورائه غير مُصدق ما يحصل من حوله، بانتظار الرد.

ظل المسؤول صامتاً.

قال التحري الشُجاع:

ـ سيدي، لقد قُمنا بِفك شيفرة الصورة.

ردَّ الضابط الكبير:

ـ بريسكو العبقري، عرفت كُل شيء، أعترِفُ أنني كشفتُ نفسي بِسبب سوء استغلال مكانة منصبي الرفيع، وكذلك كبريائي. كان بإمكاني استعمال سُلطاتي في أعمال أفضل، ولكن أعتقد أنه فات موعد القطار.

سأل التحري بينما ظل بلعون صامتاً:

ـ هل بإمكاني أن أسأل سيادتك؟

ـ اسأل.

ـ ما صِلتُك بِصاحبة الصورة؟

ـ إنها أُمي.

ـ وهل هي مُطلقة؟

أومأ الضابط بالإيجاب:

ـ نعم.

_ ما الدافع من وراء هذه الجرائم جميعها؟

_ الانتقام.

استأذنا منه بالانصراف، وأديا التحية مرةً أخرى، وفي الخارج لم يتمالك السيد بلعون، الذي بدا مُرتبِكاً وخائفاً جداً، من رهبة المكان، وسلطة الضابط الكبير.

سأل بلعون:

_ ألا تخاف أن يقوم بِاعتقالنا.

_ لقد عملتُ حساب كُل هذا.

_ كيف؟

_ ألا تتذكر عندما قُلتُ لك عند ترك المنزل المُهم، انتظرني نصف ساعة في غرفة الفندق.

_ تذكرت.

ـ عند غيابي، طلبتُ مقابلة ضابط آخر في هذا التوقيت الذي غبتُ فيه عنك، وشرحتُ له الأمر، وعرفته بِنفسي أنني تحرٍ مستقل، شكرني، وسهل الطريق لِمقابلة ذلك الضابط.

سأل بلعون:

ـ هل بإمكانك اطلاعي على حل الشيفرة يا بريسكو العظيم، والوصول إلى القاتل؟

ـ اقرأ أحرف المجموعة الأولى من اسماء الضحايا المُطلقات، بعد إضافة حرف الميم إلى فراغ اسم الضحية المطلقة السادسة، وابدأ من الأسفل إلى الأعلى تصاعدياً، وهي، م-ن-ص-و-ر-ا. سترى اسم منصورا.

وتابع بريسكو:

ـ ثُم اقرأ حروف المجوعة الثانية أيضاً تصاعدياً بالترتيب، بعد إضافة حرف الألف إلى الفراغ مكان اسم النسبة، سيكتمل حروف المجوعة، ا-ل-ض-ا-ب-ط. ستحصل على اسم الضابط.

هتف بلعون:

ـ يا للشيطان. الضابط منصورا.

ـ بالفعل عمل شيطاني، بِدليل إنه اختار ضحاياه المُطلقات، بِما يُطابق الشيفرة على خلفية الصورة التي استعملها ليُطابق الحروف الأولى من أسمائهن وأسماء كُنيتهن مع اسمه ورتبته.

سأل بلعون:

ـ ولكن الحظ لم يُحالفه؟

ـ بالطبع عندما فرت ميادة الشباب.

ـ كيف عرفت أن هناك جريمة قتل جديدة ستقع؟

ـ من الحبر الجديد، الذي كتب فيها الضحية السادسة، دون إضافة الحرفين، من اسمها.

ـ ما هو حقيقة، عدم إضافة الحرفين من اسمها؟

ـ لأنها فرت، وأخذت معها الصورة، قبل أن يقوم بِقتلها.

ـ ميادة هي السبب في الوصول إليه؟

ردَّ عليه التحري:

ـ الحبر.

ـ كيف الحبر.

ـ كُل الاسماء كانت بِحبرٍ قديم، إلا الضحية المُطلقة السادسة، أُضيف بِحبر طازج جديد.

صعق بلعون بهذه المعلومات الجديدة التي كان يحتفظ التحري بِها لنفسه وعدم إخباره بِها.

سأل بلعون:

ـ لماذا سألت الضابط عن صاحبة الصورة؟

ـ لأعرف فقط، إنها مُطلقة، في الوقت الذي كان فيه يافِعاً.

ـ لِتربط أعمال القتل التي قام بِها، بالظروف التي مرَ بِها آنذاك، وانعكست على شخصيته بِفعل الانتقام، عند التقدم في السن، في الوقت الذي امتلك فيه زِمام السلطة.

سأل بلعون:

ـ سؤال قبل الأخير؟

ـ اسأل.

ـ لماذا لم يستعمل الضابط السلاح المُتمرس عليه، بدلاً من استخدام عملية الحرق في ارتكاب جرائمه المُتعددة؟

ـ هذا أهم سؤال حتى الآن. السلاح يُقصد ويترك دليلاً، يقود إلى صاحبه، أما النار عبثي يُطهر، ولا يترك دليلاً من ورائه.

أخيراً سأل بلعون:

ـ هل بالإمكان أن تُلخص الحدث يا سيد بريسكو من فضلك.

هز التحري العبقري رأسه بالإيجاب قائلاً:

ـ ببداية التحقيق في أية جريمة قتل، تكاد تكون الأدلة شحيحة، أو شبه معدومة تقريباً، وعندما نقوم بِتتبع مسار الأحداث، ونجمع ما تيسر لنا من التفاصيل، تترسخ لدينا قناعات ثابتة بأننا اكتشفنا القاتل، وبِمعرفة هوية جالب الصورة، صار لدي قناعة قوية أنني توصلت إلى أكبر قاتل مُتسلسل في تاريخ المدينة، بعد أن وجدتُ أن الأسماء مُدونةٌ بِحبرٍ قديم، ما عدا الضحية الأخيرة، مكتوبٌ بِحبرٍ طازج، مع فقدان الحرفين الأخرين لُغز سر كشف هوية القاتل ، إلا إنكار العامل عدم

تعرفه على تلك المرأة الشابة، نسفت التحقيقات الأولية من الأساس، وأن القضية انتهت عند ذلك الحد، هناك أمل واحد للوصول إلى القاتل، ولكن طعمه مرٌ وعلقم، إذا ما تورط القاتل في قتل الضحية المطلقة الأخيرة، أما الخبر المفرح أن تأتي جالِبة الصورة إلينا وتعترف، وهذا ما يُجنبها من موتٍ مُحتَم.

وبِخروجنا من حانة الضفادع في حالة يائسة، ولقاءنا مع الشاعر بابا، ومعه جريدة قامشلي جليد، ذُكِرَ فيها النبأ المفجع بِقتل المُطلقة ميادة الشباب، سهل علينا مقتلها بِمُتابعة القاتل، واستفدنا من شكوى مُدير الحانة ضدنا، بالتعرف على المساعد الجنائي أبي حشيش، وعن طريق رشوته بالمال، أدخلنا إلى غرفة أرشيف الأمن الجنائي، وعرفنا المزيد من المعلومات المُتعلقة، بالضحايا المُطلقات الخمسة الأولى في ملف قديم على كمبيوتر المركز، أما اسم المطلقة الأخيرة، فهو محفوظٌ في ملفٍ جديد، وكانت جميع التقارير تذكر، أنهن كنَّ مُطلقات ومتنَ حرقاً وكنَّ من نفس المنطقة، ويُشير التقرير في النهاية، إنها حوادث قتل عادية، وليست جنائية، ومعظم الضحايا قُتِلنَ في زمنٍ بعيد جداً، أما الضحية الجديدة، ودخول

المنزل المُهم، والحصول على ألبوم الصور، جميعها أسرعت في الوصول إلى القاتل.

تمت

جنكو تمو

رواية (قاتل المطلقات) ثاني حلقات سلسلة روايات بوليسية، ستصدر تباعاً،
بطلها المحقق آدم بريسكو.
هذه الرواية خيالية واقعية في آن معاً، فهي خيالية إذ نسج الكاتب أحداثها وبنى
شخصياتها من بنات أفكاره،
ومستودع خياله، أما واقعيتها فتأتي كونها رواية يمكن أن تحدث في أي زمان أو مكان.
ومن الناحية الفنية فقد برع الكاتب في الدمج بين المساحتين الخيالية والواقعي،
فالأماكن والمدن والأحياء واقعية وهي من البيئة التي عاش فيها الكاتب نفسه،
أما الشخصيات فهي خيالية وقد اختار لبعض شخصيات الرواية أسماء غريبة عن بيئته ومن
الأسماء المتعارف عليها.